

كنيسة العذراء مريم والشهيد أباتوب
بالمقطم

فن الحياة

راهب من جبل أنطونيوس

" أتيت لتكون لهم حياة

وليكون لهم أفضل "

(يو ١٠ : ١٠)

اسم الكتاب : فن الحياة

المؤلف : راهب من جبل أنطونيوس

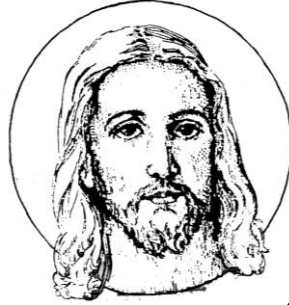
اسم المطبعة : تاتش برس - ٠١٠١٧٨٩٣٧٤

تجهيزات فنية : صبحي صادق - موريس ونيس

الطبعة : الأولى ٢٠١٠ م

رقم الإيداع : ٢٠١٠ /

نظبات الجملة : ٠١٢٤٢٧٢٤٣٥



دعوة

❖ إن كنت – قارئى العزيز – قد التقطت هذا الكتاب الآن وتفكر إن كنت تقرأه أم لا .. فدعنى أسألك هذا السؤال : كيف حصلت على هذا الكتاب ؟ هل التقطته بنفسك من بين كتب كثيرة معروضة فى مكتبة البيع ؟

هل أنت تفكر بعمق فى تغيير حياتك نحو الأفضل ؟ هل تسلمت هذا الكتاب كهدية من شخص ما لى يشركك فى تغيير الحياة الذى اكتشف أنه مثير ومبهبج . على أى حال فقد أمسكت بهذا الكتاب وإنى مسرور أنك فعلت ذلك ، وإنى أدعو لك حتى يكون هذا الكتاب بالنسبة لك ليس مجرد كتاباً عادياً ، بل يشكل اختباراً رائعاً ومفرحاً بينك وبين الله ويقودك إلى تغيير الحياة الذى كنت تبحث عنه .



قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

(٤)

١ - نقاء الحياة

خرجت مجموعة من الصيادين لتصطاد فى إحدى غابات انجلترا . وقادتهم أقدامهم إلى أعماق هذه الغابة ، حيث شاهدوا حيواناً فريداً أكبر قليلاً من الأرنب وأصغر من الدب يسمى (القوقام) .

لكن ما شد انتباههم فى هذا الحيوان الفريد هو فروته ناصعة البياض . أكثر إشراقاً من فروة الدب ، وأنصح بياضاً من فروة الأرنب ، وأطول وأغزر شعراً من فروة الثعلب . وعلى الفور أطلق أحدهم رصاصته ، التى أردته قتيلاً .

وقدموا فروة هذا الحيوان الفريد هدية لملكة انجلترا ، ارتدتها فى حفل من حفلاتها المتميزة .. فكانت بحق ملكة تتلألاً وسط الحاضرين بهذا الجاكت الفرو الذى تكسوه فروة هذا الحيوان الأبيض النادر .

وبعد الحفل تهافتت الأميرات على الملكة ، ليس فقط لتحيتها فى هذا الحفل ، بل لمعاينة هذا الفرو عن قرب .. ولاحظت الملكة شغف أميراتها الصغيرات بهذا الفرو ، فأرشدتهن إلى مجموعة الصيادين الذين أتوا لها به .

وقتها أدرك الصيادون أنهم أمام كنز فريد يتمثل فى هذا الحيوان .

فعاود الصيادون خروجهم إلى نفس الغابة ، وبعد أن قضوا أياماً ينتظرون ظهور هذا الحيوان الفريد .. فجأة جاء هذا الحيوان ، ولكنهم هذه المرة قرروا ألا يقتلوه ، بل اصطادوه حياً ، وأخذوه إلى عالم من علماء الحيوان فى جامعة اكسفورد .. وطلبوا منه دراسة طباع هذا الحيوان ، حتى يتسنى لهم اصطياده بسهولة ويُسّر .. ليعرفوا ماذا يحب ؟ وماذا يكره ؟ وما هى أفضل الوسائل لجذبه ؟ وما هى أيسر الطرق لاقتناصه ؟ إنه كنز هبط عليهم من السماء .

وبعد أربعة أشهر رجعوا إلى هذا العالم ، فوجدوه مبهوراً
فخوراً بهذا الحيوان ، وقال لهم : [ما أعظم . الدرس الذى تعلمته
من هذا الحيوان خلال هذه الشهور !!

إن هذا الحيوان على أتم الاستعداد لأن يواجه الموت بشجاعة ،
رافضاً أن تتسخ فروته .. إنه يدرك أن بقاء فروته ببيضاء نظيفة ،
هو أول وأخر اهتماماته .. فهى بالنسبة له أهم من الطعام ، وأهم
من الشراب ، بل وأهم من الحرية ، بل وأهم من الحياة بجملتها [.
ثم قدم لهم نصيحته الذهبية قائلاً : [إذا أردتم اصطياد هذا
الحيوان بسهولة ، ليس عليكم إلا أن تضعوا القذارة والطين فى
جحره ، وحين يدركه الخطر ، ويهرب إلى هذا الجحر ويجد فيه ما
يعرض فروته للقرارة ، وقتها سوف يستسلم مفضلاً الموت عن
الفروة القذرة] .

ما أروع هذا الحيوان الذى فضل النقاوة على الحياة وأدرك أنه
لا قيمة للحياة دون استقامة ، فالصراع الحقيقى هو الصراع ضد
نزوات النفس ورغباتها الجامحة ، فالانتصار الحقيقى فى معركة
الحياة ، هو تدريب النفس على الرضى بين الجوع والشبع ، الغنى
والفقر ، فتميز بين الخير والشر ، فليس كل ما يلمع ذهباً .

قديمًا قال (برنارد شو) : [من الأفضل أن تحتفظ بحياتك
طاهرة ونقية ، فحياتك هى النافذة التى من خلالها ترى العالم] .
ولعل السؤال الجوهرى الآن هو : كيف يمكن أن تحتفظ بحياتنا
بيضاء فى أيام انتشرت فيها أقنعة الخير التى تخفى وراءها الكثير
من الغش والرياء والخداع ؟

أين الطريق للقلب الأبيض بياضاً أكثر من الثلج ؟ (مز : ٥١ : ٧

اسمح لى أيها القارئ العزيز أن أضع بين يديك بعضاً من
علامات هذا الطريق :

أ - اهتم بالنقاء حتى فى أصغر أمور حياتك فكلما كان فلتر
حياتك أضيّق ، كلما أنتج ماءً أنقى . فالنظرة المنضبطة للجنس
الأخر ستقى من انحرافات خطيرة فيما بعد ، والمدقق فى انتقاء

ألفاظه ، لا تخرج منه العبارات النابية .. نعم فمعظم النار من مستصغر الشرر .

ب - قل لا للتجربة .. فما أسهل أن تقل (لا) فى أول منعطف السقوط ، لكن إن لم تقلها رافضاً الشر ، فقد يأتى وقت لا تستطيع فيه أن تقول (لا) .

ج - لا تأت بفعل تخشى أن يفضحك يوماً ما أمام الناس ، فعين الله ترى حتى فى الظلام " فليس مكتوم لن يُستعلن ، ولا خفى لن يُعرف " (لو ١٢ : ٢) .

لقد قال (يوسف الصديق) : لا للتجربة فى أول منعطف السقوط ، ولم يفعل الشر أمام عين الرب .

فعندما أرادت امرأة فوطيفار أن تضع الخطية معه ، سألت (يوسف) ذلك السؤال الخالد ، الذى كان سر نصرة للنفوس المُجربة فى كل الأجيال والعصور : " كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله " (تك ٣٩ : ٩) .

لقد كان (يوسف) مستعداً لا أن يُسجن فقط ، بل أن يواجه الموت بشجاعة ، رافضاً أن يتسخ ثوب عفته أو أن يفقد طهر حياته .

لا توجد مواضيع كثيرة تستدعى مجهوداً من الوعاظ والكتاب أكثر من هذا الموضوع العظيم (العفاف) .

تعبس هو المجتمع بسبب حوادث النجاسة الكثيرة وضحاياها البؤساء .

لا توجد خطية أسرع منها على إفساد القلب ، وإضعاف المواهب ، وإتلاف الجسد . إنها تقسى القلب ، وتحجر العواطف .

قضى اللورد (بيرون) حياته القصيرة غير عفيفة ، ومات فى سن السادسة والثلاثين وقد ختم قصيدته الأخيرة بهذه الكلمات الأسيفة : [لقد أصبحت أيامى كورقة ذابلة ، وولى وقت زهور المحبة وثمارها] .

لا توجد خطية أخرى أقدر وأسرع من هذه الخطية فى

تقويض أركان الأمم . وإن كان التاريخ قد علمنا شيئاً ، فإنه علمنا أن النجاسة هي أكبر المعاول لهدم الشعوب ، والمجتمع الذى لا يهدم هذه الخطية يهدم نفسه بنفسه .
اذكر أنه لا تستطيع أية تجربة التغلب عليك ما لم تسمح لها أنت بالدخول إلى طبيعتك ..
وطالما كنت ضعيفاً عن أن تغلق الباب أمامها ، فاطلب المعونة من المخلص القدير . كل قوات الظلمة لا تستطيع أن تقتحم باباً سلمته لرعاية الرب يسوع .
يا له من شعار جميل لنا أجمعين :

[كيف أفعل هذا الشر العظيم ؟]

لقد تصرف (يوسف بحكمة إذ " ترك ثوبه فى يدها وهرب إلى خارج " (تك ٣٩ : ١٣) .
خير لك أيها الشاب أن تفقد ثوبك وأثمن ما تملك من أن تفقد ضميرك الحى . اهرب من الشهوات الشبابية . لا تتنافس مع التجربة ، لا تطل البقاء بجوارها . لا تقف لتنتطح إليها . إن فعلت ذلك غلبتك الخطية .
" لا تنظر إلى ورائك ، ولا تقف فى كل الدائرة " (تك ١٩ : ١٧) .

إن الإرادة هي قلعة رجولتنا ، وطالما لم يحصل أن تسليم فيها ، فلا خطر فى أى مكان آخر فى أجسادنا .
قد تُهاجم الفضيلة ، ولكنها لن تُهزم .. قد تُطعن ولكنها لن تقهر ، وحتى إن أريد بها ضرراً فإنها سوف تتمجد وقت الامتحان السعيد .
لا شئ يستحق الإعجاب الشديد بقدر الطهارة والنقاوة التى مثل أشعة الشمس . إذا ما احترقت أقدر الأماكن جازت وسط ظلمتها دون أن تفقد شعاع واحد من أشعتها .

فالأشخاص الذين ضبطوا أنفسهم ، ولم يلوثوا ثيابهم ، بالرغم من تعرضهم للتجارب العنيفة التى اكتسحت غيرهم ، ينالون إعجاب الآخرين .

يظن عامة البشر أن قمم الحياة الطاهرة الشاهقة الارتفاع
الناطقة السحاب أسمى من أن يصلوا إليها . ولذا تجدهم يدهشون
أشد الدهشة ممن استطاعوا أن يتسلقوا سفحها الخشن ، ويتنسموا
رائحة العالم السماوى .

إن القلب العفيف هو العامل الأساسى فى عفة الجسد ، فيوسف
الصديق الذى كانت الخطية تضغط عليه من الخارج ، وتلح عليه
كل يوم ، ومن سيدهته التى لها سلطان عليه ، وتستطيع أن تؤذيه إذا
رفض .. ولكنه احتفظ بعفة جسده بسبب عفة قلبه ، وبسبب أنه كان
يضع الله أمامه فى كل ما يفعل ، وبسبب مبادئته الروحية التى تؤمن
بالعفة .

إذن العفة لا تتوقف على الوسط الخارجى ، إنما على حالة
القلب الداخلية ، ومدى عفة القلب .
لقد نجح يوسف الصديق ، ولم يكن قد ارتبط بعد بزواج
يحصنه من الخطية .

ولم ينجح داود الملك الذى كانت له سبع زوجات وقتما حاربتة
إغراءات الخطية .. والسبب كان هو حالة القلب الداخلية .
هل هو قلب عفيف يتسامى ويعلو فوق الإغراء مثل قلب
(يوسف) .. أم هو قلب ضعيف من الداخل . تأتية حروب الخطية
فى وقت يكون فيه محباً لها وغير متمسك بالعفة كما حدث مع داود
؟

صديقى

من أى نوع يكون قلبك ؟
هل قلبك نقى وعفيف ومتسامى ، أم إنه ضعيف ويحتاج إلى
تنقية ؟

إن كان قلبك ضعيفاً أمام التجربة وحروب الخطية مثل (داود)
فلا تياس ، فداود هذا الذى سقط أمام إغراء الخطية أنشد بسبب
سقطته هذه زموره الشهير " ارحمنى يا الله حسب رحمتك .
حسب كثرة رأفتك امح معاصى " (مز ٥١) .

والذى قال فيه " اغسلنى فأبيض أكثر من الثلج " (مز ٥١ : ٧)
لقد سلم قلبه لله لينقيه ويغسله فيصير أبيض أكثر من الثلج . حتى
أصبح (داود) قدوة لغيره فى نقاء القلب وخاصة لأولاده من
الملوك الذين ملكوا بعده .

فكل الملوك الذين اقتدوا بداود أباهم ، وعملوا أعمالاً صالحة
مثله نجد أن الوحي الإلهي يصف كل واحد منهم بالقول : " عمل
.. كداود أبيه " (١ مل ١٥ : ١١) .

وعلى العكس من ذلك ، كان النسل الشرير يوصف بالقول :
" لم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه " (١ مل ١٥ :
٣) .

لقد أصبح قلب داود فى نقاوته هو المقياس الذى تمتحن به قلوب
أولاده .

وقد شهد الرب عن (داود) قائلاً : " وجدت داود بن يسي
رجلاً حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى " (أع ١٣ : ٢٢) .

لقد تنقى قلب (داود) حتى أصبح حسب قلب الله .
ومن مكانة (داود) العظيمة ، وقربه إلى قلب الله ، سمعنا هذه
العبارة الشهيرة من فم المرنم يقول للرب : " من أجل داود عبدك " (مز ١٣٢ : ١٠) .

بل أن الرب نفسه كان يكرر هذه العبارة التى تدل على مكانة (داود)
عنده قائلاً : " من أجل عبدى داود " (١ مل ١١ : ٣٢) ،
" لأجل داود عبدى الذى اخترته الذى حفظ وصاياى وفرائضى " (١ مل ١١ : ٣٤) .

وقال الرب عن داود أيضاً : " قطعت عهداً مع مختارى .
حلفت لداود عبدى " (مز ٨٩ : ٣) .

إن كان قلبك أيها الحبيب ضعيفاً مثل داود وقت التجربة
والسقوط ، فبإمكانك أن يصير قلبك نقياً كاملاً مثل (داود) بعد
توبته ، إذا سلمته للرب ليغسله فيبيض أكثر من الثلج .

إذا تغير قلبك تغيرت كل حياتك ، لأن القلب هو مركز كيان
الإنسان ومحور نفسه ، وعمق أعماقه ، وفيه تُخترن كل

مشاعر الإنسان ، واتجاهاته فى الحياة ، ومنه تبدأ أعمال الإنسان ،
خيراً كانت أم شراً .
اعلم أيها الحبيب .. أن الله لا يبحث عن أوان ذهبية أو فضية
، لكنه يبحث عن أوان نظيفة .. فإن لم تكن كذلك .. فهو يستطيع أن
ينظف قلبك فيصير أبيض أكثر من الثلج .

نقاوة القلب فى هذه
الأيام بضاعة نادرة
، لا يهناؤها إلا
الذين صاموا عن
الدنيا ومباهجها .

٢ - الحياة المثالية

كانت إحدى السيدات مثلاً واضحاً للشخصية الرقيقة المهذبة ، إذ كانت تحظى بمكانة مرموقة بين سيدات الطبقة الراقية التي تنتمي إليها .

والحقيقة أنها لم تنل هذه المكانة من فراغ ، فهي سيدة كريمة ، مُحبة ، حلوة الحديث ، واسعة الثقافة ، معروفة بالحكمة والوضوح ورجاحة العقل .

إنها من ذلك النوع المتميز من النساء الذي يحرص على الالتزام بالمبادئ السامية ، والمُثل العُلّيا ، بقدر ما يستطيع البشر . ولكن هذه السيدة كانت تعاني من شيء ما في داخلها ، ينغص حياتها ، برغم ما تبديه من بشاشة وانطلاق !

فقد كان في صدرها سر غريب لا يعرفه أحد سواها ! إذ كانت شديدة التعلق بالذهب والمجوهرات الثمينة ، تعلقاً شديداً ، حتى تكاد تنتزع هذه الأشياء من فوق صدور النساء ، رغم ما يملأ خزانها من الحلى ..

وعلى عادة هذه الطبقة الراقية ، كانت الحفلات تُقام في قصور السيدات الأنيقات ، فتحضرها الصديقات وهن يحملن أجمل المجوهرات ، فما يكاد اللقاء ينتهي حتى تكتشف احداهن ضياع شيء من زينتها الثمينة .

فكانت كل واحدة تتهم نفسها بالاهمال ، أو تتهم السائق أو أحد الخدم البسطاء ..

غير أن الشبهات لم تتجه قط إلى السارق الحقيقي ! الذي لم يكن سوى السيدة المثالية صاحبة القصور . والحق يُقال أن أكثر الناس تمزقاً في كل حادثة من هذه الأحداث المؤسفة ، كان صدر هذه السيدة المسكينة ، فهي تتعلق بأرفع المثل ، لكنها تسقط في أسر الدنيا .

كان إيمانها بالمبادئ قوياً ، لكنها كانت مهزومة أمام قوة سلبية

ف

(١٢)

أعماقها ، تفسد عليها مثالياتها العالية !

❖ ما لا تفعله المُثل العُليا ..

المُثل العُليا هي تلك الصورة الكاملة التي ترضى العقل والعاطفة إرضاءً كاملاً ، فنسعى إليها حتى لو تعارضت مع مصالحنا الشخصية .

إنها النموذج الأخلاقي الذي نتصوره ، ونحاول أن ننسج على مثاله في جميع قضايانا الفكرية والعملية ، وهذه المُثل العُليا لا تتحقق تحققاً تاماً في حياة الناس الذين يؤمنون بها ، لكنهم دائماً يتجهون إليها دون بلوغها .

ولعل أصحاب المُثل العُليا هم أرقى وأصفي طبقات البشر ، فهذه المُثل العُليا متى أصبحت هدفاً مشتركاً ، فإنها توحد بين النفوس ، وتوجهها إلى هدف واحد ، فلا تتدفع وراء المصالح الشخصية ، التي تهدد الكيان الإنساني كله .

وبالرغم من ذلك ، فإن الاتجاه إلى التمسك بالمُثل العُليا ليس هو الطريق الأمثل لحل قضية الإنسان الحائر بين الخير والشر ، فهناك أشياء كثيرة تضعف من شأن هذا الحل ، وتتمثل فيما يلي :

❖ المُثل العُليا ليست هي النقاء الكامل ..

فالمُثل العُليا لكل واحد فينا ، هي تلك الصورة الكاملة ، التي يرضيها لنفسه ، بمقدار ما بلغ نضجه وإدراكه ووعيه الأخلاقي . وهذا الارتباط بين محدودية الفرد ومثالياته تجعل المثل العُليا مقياساً خادعاً تشوبه النقائص .

المُثل العُليا - بهذا المعنى - هي مجرد صورة ونموذج ، وليست قوة مساندة أو دافعة ، فالتطلع إلى المُثل العُليا ، يمثل نوايا طيبة ، وحماساً مخلصاً ، وعزيمة قوية ، وتمسكاً شديداً ، لكن هذا الجهد العظيم يواجه مقاومة عنيفة من قوى النفس السلبية التي تجذب الإنسان نحو ميوله الطبيعية لتحقيق مصالحه ، ورغباته ، وأهدافه على حساب هذه المُثل العُليا ، وكثيراً ما تتجح .

❖ المثل العُلّيا لا تغير قلب الإنسان ..
فاتطلع الشريف نحو المثاليات ، لا يغير الميول المتدنية في
باطن البشر ، فهي قد تغير بعض سلوكيات الإنسان وظواهره ،
لكن بواطنه تظل معملاً نشطاً لتوليد الأفكار الذاتية . إنه كالمصنع
القديم الذى ينجح فى إنتاج مصنوعات جيدة بماكينات عتيقة !
إنه يستحق التقدير والثناء ، لكن منتجاته الجيدة لا تُصلح
ماكيناته العتيقة .

❖ المثل العُلّيا لا تغفر الخطايا ..
فمهما تمسك الإنسان بالمبادئ والقيم ، ومهما سعى إليها ، فهو
يظل كباقي البشر إنساناً خاطئاً ، يرتكب الذنوب بالفكر والعمل ،
وبالرغم من أن أصحاب المثل العُلّيا أفضل بما لا يُقاس من
المستبحين الذين لا يتمسكون بمبدأ أو قيمة ..
بالرغم من ذلك فإن جميعنا نتساوى فى سقوطنا فى خطايانا
الخاصة ، التى نعرفها نحن وتعرفها السماء ، لأننا جميعاً نحمل
قلوباً خادعة مخدوعة .

ولا تستطيع مثالياتنا أن تغفر لنا رصيد خطايانا ، أو توقفنا
أبرياء أمام محكمة العدل الإلهى فى يوم الحكم .
بل أن المثل العُلّيا لا تجعل صاحبها أقرب إلى الله من غيره ،
حين نقارن بين إنسان يتمسك بالقيم العُلّيا ، وآخر لا يبالي بها ،
نجد الفارق بينهما عظيماً جداً ، لكن هذا الفارق العظيم بين إنسان
وآخر ، لا يساوى شيئاً يُذكر فى مقاييس الطهارة والقداسة الإلهية .
ونستطيع أن نشبه ذلك برجلين أحدهما عملاق ، والآخر قزم ،
وكل منهما يمد يده إلى أعلى ليمسك القمر ، ويظل القمر فى عليائه
بعيداً عن متناول العملاق ، كما هو بعيد عن القزم .
لذلك نقول أن المثل العُلّيا تجعل الإنسان أسمى وأعلى من سواه
، لكنها لا تجعله أقرب إلى قداسة الله .

١٥ الطريق للحياة المثالية :

إن الطريق الحقيقي للحياة المثالية ، ليس هو التطلع إلى المُثل العُلّيا ، بل هو طريق التغيير الروحي . هذا التغيير الذى يعتمد على قوة علوية من السماء ، تغير القلب ، وتبعث الحياة فى نفوس البشر . والفارق عظيم بين محاولة السمو الفكرى بالتطلع إلى المُثل ، وبين التغيير الفعلى بقوة الله . فالمُثل العُلّيا (صورة) تتطلع إليها ، أما التغيير الروحي ، فهو (قوة) تنالها ! المُثل العُلّيا (أشواق) نرجوها ، أما التغيير الروحي ، فهو (أجنحة) تحملنا . المُثل العُلّيا محاولة تطويع وضبط للذات ، أما التغيير الروحي ، فهو تحرير وإطلاق للنفس .

إن الطريق إلى السمو الروحي له باب آخر ، غير باب المُثل العُلّيا ، هو باب نعمة الله ، ونعمة الله ليست هى عطاياه المادية فقط ، بل هى عطاياه الروحية السامية التى يمنحها لنا مجاناً والتى تشمل غفرانه لخطايانا ، وتغييره لقلوبنا وإحياءه لأرواحنا . وهذا الباب لا يمكن أن نتسلقه بدرجات المُثل العُلّيا ، لكننا نطرقه فى خضوع السائل المحتاج ، فتمتد إلينا يد النعمة الإلهية لترفعنا . إن أصحاب المُثل العُلّيا هم أرقى طبقات البشر ، لكن مثالياتهم كثيراً ما ترفعهم إلى أفاق زائفة ، فلا يأتون فى خضوع إلى باب الرحمة الإلهية .

صديقى

إن أردت أن تحيا الحياة المثالية ، فارفع نظرك إلى الله ، وافتح قلبك للمسيح ، ليحل فيه بنعمته .

وقل مع القديس بولس الرسول : " لى الحياة هى المسيح " (فى ١ : ٢١) .. " أحيأ لا أنا ، بل المسيح يحيأ فى " (غل ٢ : ٢٠) .
حينما نفتش فى كلام المسيح وتعبيراته المختلفة التى عبّر بها
عن نفسه ، لا نجد أقوى من قوله عن ذاته : " أنا الحياة " (يو ١١ :
٢٥) .

فالمسيح صار حياتنا . فلنفرح ونتهلل ، فالرب يسوع موجود
فينا ، ونحن موجودون فيه .
هذه الحقيقة يستشعرها البعض منا ، فلا يطيق ، فيصرخ
بالمجد ، ويهمل بصوت عال ، لأن وجود يسوع يلهب قلبه بالروح
، ويكاد يطفر ويرتفع عن الأرض كأنه سيطير ، والكل يرى
ويسأل ماذا أصابه ؟!

نعم .. أصابه الروح فى الصميم ، فلم يعد كأنه من سكان
الأرض ، وانسكبت فيه نعمة الله بغنى ، غيرت حياته ليحيأ الحياة
المثالية فى المسيح يسوع .

فالإنسان الجديد زهرة سماوية حطت على الأرض ، والكل
يتعجب منها ، وزهور الإنسان السماوى تحيط بالمسيح ، والمسيح
يحيط بها ، وتتبعث رائحتها الزكية لله ، تعطر الأرض والسما ،
وأريجها يحتفظ به المحبون ، كعلامة وجود الرب معنا .
إن يسوع حى موجود فينا ، وجعل زماننا وقتاً مقبولاً يحتاج
إلى هتاف المجد ، أما يوم الخلاص فيستحيل أن تغيب شمس ،
لأنه أسعد يوم فى الوجود ، فهو يوم الرب المشهود الذى كاله
بصليبه وألبسه تاج قيامته ، يوم الخلاص هو عيد الأرض كلها
وفخر السموات .

للجمال الحياة :

ينظر البعض للحياة نظرة سلبية بسبب الظروف التى مروا بها
، حتى يعجزون عن رؤية جمال الحياة .
ويرى البعض الآخر الحياة قبيحة لا جمال لها ، لأن حياتهم
من الداخل عبارة عن برية قاحلة ، ومهما كان فإن النظرة السلبية

للحياة ، تترك الإنسان بانساً غير قادر على إحراز أى تقدم فى حياته الروحية .

إن روح الله هو ينبوع ماء الحياة الذى إذا انسكب فى داخلك يروى نفسك الجافة ، وتتفجر فى داخلك ينابيع الحياة ، وتلد صحراؤك جنة يانعة ، فهو المياه الحلوة للنفس الظمأى ، والخصب الروحى للروح المجذبة ..

إذا انسكب روح الله فى داخلك سيكون كمطر روحانى ينزل على أرض قلبك الجافة العديمة الفضائل ، فيحولها إلى حقول خصبة وافرة الحصاد ، فهو الماء الصافى والغدير المتدفق على واحة قلوبنا .

إنه قوة جبارة قادرة على تغيير حياتك إلى الأفضل دائماً ، فهو يترك بصماته على كل القلوب التى تنفتح له فى كل العصور والأجيال مشبعاً حاجة قلوب البشر .

علينا أن نحمل فى داخلنا قوة روح الله صانعة طريقنا إلى السماء .

إنه يجدد قوانا ، ويغير حياتنا .

إن روح الله فىنا هو روح الحياة المثالية ، وختمه فوق جباهنا تاج الجمال .

لن نرى جمال الحياة ، إلا عند أعتاب الرب ، ولن نحيا الحياة المثالية ، إلا بقوة روح الله التى تغير قلوبنا ، وتبعث الحياة فى نفوسنا الذابلة .

عزى

ألم يبلغك سؤال أحدهم : [ما فائدة الكواكب ، فإن أحداً لم يبلغها ؟]

وجوابنا : نعم .. ، لم يبلغها أحد ، ولكن ضوءها قد أهدى سفناً لا تحصى فوق سطح البحر ، فسارت فى هداها فوق عجاج الأمواج ، حتى بلغت الميناء أمانة [وما فائدة المثل العليا ، فإن أحداً لم يبلغها ؟]

نعم .. لم يبلغها أحد ، ولكنها ما فتئت كالكوكب المنيرة تضيء فوق
ظلمة الحياة ، وعلى هديها نوجه سيرنا عبر السنين المجهولة ،
عالمين أننا سنبلغ السماء أخيراً . هذه هي المثل التي تستأثرنا .

ربى وإلهى

إن فى صدرى أشواقاً للسمو ، ولى محاولات مخلصه حاولت
أن أقهر أنانيتى .. أن أضع مثالياتى فوق مصلحتى ، ولكنى وجدت
الطريق شاقاً .

ففى داخلى إنسان مخادع وإرادة عاجزة .. وكلما حاولت أن
أطلق حراً فى أفاق المثل العليا ، خذلتنى بشريتى ، وجذبتنى
طبيعتى ، وأخجلنى رصيد خطاياى الخفية !
لذلك أطرق أبواب نعمتك .. أجتو عند أقدامك ، ألتمس منك أن
تسكن فى قلبى .

أن تطهر أعماقى ، وتثير عقلى بنور معرفتك ، أن تغسل
فكرى من الزيف ، وأن تملأنى بقوة محيية من روح قدسك .
أن تمنحنى الحرية ، فأرتفع فوق قيود ضعفى ، وأرتل بأنغام
تسبيحك وحمدك .

يارب

إن ما يستحق التقدير ليس الحياة
، بل الحياة الأفضل .

٣ - تغيير الحياة

بينما كان شمشون الجبار يسير فى يوم من الأيام وسط الكروم ، فاجأه أسد هائج ، وزمجر فى وجهه استعداداً للأنقضاض عليه ، فهجم عليه شمشون ، وأمسك بفكيه وشقه إلى نصفين ، ثم ألقى بجثته على جانب الطريق ومضى إلى حال سبيله .

ولما عاد شمشون من رحلته بعد بضعة أيام وسار على ذات الطريق ، وجد فى جوف جثة الوحش الصريع خلية نحل برى مليئة بالعسل ، فملاً كفه منها وعاد يردد كلمات قليلة صارت فيما بعد مثلاً مشهوراً فقد قال شمشون : " من الأكل خرج أكل ومن الجافى خرجت حلوة " (قض ١٤ : ١٤) .

فمن الوحش المفترس الذى يأكل الناس ، خرج عسل حلو يأكله الناس ..

هذا المضمون الجميل - مضمون خروج العسل الحلو من الواقع المر ، يلقي ضوءاً باهراً على معجزة إلهية رائعة تحدث يومياً فى حياة كثير من الناس فى كل بلاد الدنيا وفى كل العصور والأجيال . فما هى هذه المعجزة الإلهية ؟

للإنسان الطيب :

يحرص كثيرون من بنى البشر على التعاملات الإنسانية ، وهى التعاملات التى تحكمها المبادئ الإنسانية المتحضرة ، ولذلك فإننا نصادف أحياناً بعض المبادرات الطيبة فى مواقف الحياة .

ونرى بعض أوجه التراحم بين البشر كما تتميز التعاملات الإنسانية الراقية بالتعاطف مع المحتاج والمظلوم والمتألم ، وتتشكل الجمعيات التى تسعى لعمل الخير والتى نطلق عليها اسم (الجمعيات الخيرية) ، وهذه التعاملات الحانية تعكس حقيقة

هامة هي أن الإنسان لازال يحمل فى داخله شيئاً من الحنين لإنسانيته البريئة الأولى التى خُلِقَ عليها فى فجر تاريخه البشرى حين كان يعيش فى جنة الله ، وقبل أن يدخله الشر ، وتسيطر عليه الأنانية ، وقد نرى من المواقف الإنسانية ما يبهرنا حقاً ، حين نلمس أحياناً فى حياة بعض الناس حباً صادقاً للآخرين أو تضحية من أجل الغير .

وقد يبهرنا أن نرى فقيراً مثلاً يتنازل عن طعامه لمن هو أوج منه ، أو نرى من يتبرع بدمه لإنقاذ جريح .. إلى غير ذلك من المظاهر الإنسانية الجميلة والطيبة .

فماذا نقول عن الشخصية الإنسانية بصفة عامة .. هل نقول أن الإنسان طيب أحياناً ؟ أم نقول أنه لا يخلو من الطيبة ؟

الحقيقة أن أشر الناس وأقساهم وأظلمهم قد يدهشنا حين يظهر فى بعض مواقف حياته لمحة خاطفة من التصرف الطيب ، تجعلنا نقول : (حقاً الناس طيبون) .

للإنسان الشرير :

لكن هذا الجنس البشرى نفسه قد يدهشنا بقدرته الباهرة الهائلة على ارتكاب الفظائع ، وإثارة القلاقل ، وإراقة الدماء ، وتفجير الحروب ، وخلق الماسى .

فهذا الجنس الذى خُلِقَ مؤهلاً للحب والبناء والغرس والتواصل ، لا يستحى أن يحطم ويخرب ويقتل ويؤذى ويظلم ويبطش ويغتصب .. إلى غير ذلك ..

فهل الإنسان ملئ بالشر .. هل هو شرير ؟

أين موقع الإنسان بين عالم الملائكة وعالم الوحوش ؟

ولماذا نراه أحياناً ملاكاً حانياً ، ونراه أحياناً أخرى وحشاً جانياً .. مفترساً قاسياً بلا قلب .

لغز الشخصية الإنسانية :

إن أسهل ما نفسر به لغز الشخصية الإنسانية هو أن نقول أن العالم خليط من الناس الأبرار والناس الأشرار ، وهذا بالطبع تفسير سهل ، لكنه فى الواقع تسطيح لحقائق عميقة ..

فليس البشر مقسومين إلى قسمين ، أحدهما خير كله ، وهو الذى يفعل الخير دائماً ، والآخر شر كله ، وهو الذى يفعل الشر دائماً .

فنحن نرى الجميع يفعلون الخير ويفعلون الشر بدرجات متفاوتة ، مما يبين أن الشخصية الإنسانية نسيج واحد من الأضواء والظلال .

فذلك الإنسان الذى قد يبدو خيراً من كل وجه قد يحمل فى قلبه بعض النوايا الضعيفة مثل الأنانية أو الحسد .. إلى غير ذلك مما يحرص على كتمانته .

وعلى الجانب الآخر ، فإن ذلك الإنسان الذى نصفه بأنه شرير بحث قد يحمل فى قلبه شهامة أو صراحة أو أمانة لا تظهرها أعماله التى تتسم بالشر بصفة عامة !

لغز فما هى حقيقة البشر ؟

إن الإنسان مخلوق روجي ارتبط منذ لحظة خلقه بالله خالقه ، حيث منحه الله تمييزاً وتعقلاً ليدرك الحقائق الروحية ، ويتجاوب مع محبة الله ووصاياه وإعلاناته .

ويسقوط جنسنا البشرى فى منزلق الخطية ، ثم وجد فيها لذة خاصة وشهوة جاذبة ، فقد برأته التى خلِقَ عليها ، وفقد صفاء قلبه وفكره وضميره ، وانجذب نحو ميوله الذاتية ، وتحولت طبيعته الروحية الصافية إلى طبيعة ساقطة مختلطة ، تقاوم الشر ، ثم تسقط فيه ، وتشتاق إلى الخير ، وتتعثر فى فعله ..

لذلك يقول القديس بولس الرسول : " فإننا نعلم أن الناموس روحي ، وأما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية ، لأنى لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه فأياه أفعل .. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فى .. لأن الإرادة حاضرة عندى ، وأما أن أفعل الحسنى ، فأست أجد لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده فأياه أفعل " (رو ٧ : ١٤ - ٢٤) .

الشخصية الإنسانية إذن ليست شخصية وحشية خالصة الشر ، وليست شخصية ملائكية خالصة الخير ، لكن الإنسان يحمل فى قلبه أشواقاً روحية وتطلعاً نحو الله ورغبة فى عبادته وطاعته ، وأملاً فى العودة إلى أحضانه ، ولكنه يحمل أيضاً ميولاً ساقطة .

وهذه الصفات المختلطة فى طبيعة الشخصية الإنسانية ، تطفو فوق أمواج الحياة ومواقفها ، فتبدو فى بعض المواقف صافية طيبة ، وتبدو فى غيرها شريرة قاسية ظالمة ، وهى أحياناً تنتصر على شرها ، وأحياناً تستسلم له .

﴿ محاولات التجمل : ﴾

بعيداً عن خداع الذات ، فإن كل واحد فىنا يعرف أنه يتستر على كثير من النوايا غير الحسنة التى تعمل فى داخله .. فنحن لا نظهر من ضعفاتنا غير القليل الذى يتعذر علينا إخفاؤه ، بينما نخفى كل ما يسيطر علينا من النوايا السيئة والأفكار السرية .

وبعيداً عن خداع الذات ، فإن كل واحد فىنا يعرف فى قرارة نفسه إلى أى مستنقع من الخطية تذهب به أفكاره ، وإلى أى كهف مظلم من الأنانية والكراهية تأخذه مشاعره الداخلية .
وبعيداً عن خداع الذات ، ألا يجد كل منا فارقاً كبيراً بين صورته التى يحرص على تلميعها فى عيون الناس ، وصورته

الحقيقية التي يعيشها فى الخفاء ، أو بين ما يقوله وما يفكر فيه ؟!

﴿ معجزة التغيير : ﴾

هذا الصراع الذى نعيشه نحن البشر بين رغبتنا فى الحياة مع الله ، وبين محاولتنا الفاشلة لتحقيق ذلك ، وهذا العناء الدائم فى تلميع صورتنا أمام الناس ، وهذه المواجهة مع النفس كلما اعتملت فى داخلنا مشاعر الهدم والعجز ..
هذه كلها توقظنا بين حين وآخر ، وتدفعنا إلى محاولات الإصلاح وتهذيب النفس .

وقد تدفعنا إلى إقرار العهود والالتزامات بحياة جديدة خالية من العيوب والخطايا ، لكننا فى كل مرة نتجرع مرارة هزيمة قاسية ، لأن ما نحتاجه ليس إصلاح الذات الذى تجريه على أنفسنا ، بل معجزة التغيير التى يجريها الله فىنا .

إن ما نحاوله نحن هو تغيير ملامح شخصياتنا ، لكن ما يعملهُ الله هو تغيير طبيعتنا .

إن الله وحده يجرى معجزة التغيير فى القلب وليس على سطح الحياة .

إنه يتعامل مع طبيعة الوحش الذى فىنا ، ليخرج من الوحش عسلاً ومن المر حلاوة .

صديقى القارئ

إذا أردت أن يغير الله حياتك ويخلق فىك قلباً نقياً ، ويجدد فى أحشائك روحاً مستقيماً ، فاترك محاولتك الفاشلة ، واتجه إليه بقلب صادق ، ليكشف لك الطريق ، ويصنع فى داخلك معجزة التغيير !

سيغير طبيعتك ، ويعطيك طبيعة خيرة .

يقول (واشنطن إيرفنج) : [إن طبيعة خيرة .. هي واحدة من
أثمن عطايا السماء . تنتشر ذاتها مثل الزيت على بحر الفكر
المضطرب ، فتحفظ الدهن هادئاً ومتزناً في أسوأ مناخ] .
إن ظلمة الشر التي في داخلنا تختفى بدخول شعاع نور الرب
في داخلنا وإشراقه في قلوبنا .

يقول (شاكتي جاوين) : [الشر ما هو إلا ظل .. ليس له
وجود في ذاته . إنه ببساطة انعدام النور .. لا يمكنك أن تجعل الظل
يختفى بأن تحاول أن تحاربه أو تخطو فوقه أو تصطف ضده أو
بأى شكل آخر من المقاومة الوجدانية أو الجسدية .
لكي تجعل الظل يختفى يجب عليك أن تسلط عليه ضوءاً] .

إن نور المسيح هو الذي يبدد ظلمة الشر في داخل قلوبنا ويغير
حياتنا نحو الأفضل .

قال اللورد (بادن باول) في عام ١٩٤١ م القائد الانجليزي ،
منشئ جمعيات الكشافين المنتشرة في كل أنحاء العالم : [في جميع
البيئات الاجتماعية نفوس قتية حارة ، هي في الحقيقة خزانات عزم
، فإذا وجهناها إلى الخير صارت قوى تفعل الخير . وإذا تركناها
تتجه للشر ، تصبح قوى للتدمير] .

فلنضع نفوسنا بين يدي الرب ليغير حياتنا ويوجهنا إلى الخير
والحياة الأفضل .

إننا قد نصير ماقنتين وخجلين من الحياة التي كنا نحياها ،
وندرك أننا خلّقنا لشيء أفضل .
لكن جهودنا للتغيير تبدو يائسة وعقيمة حتى يأتي الرب يسوع
كي يملأنا بقوة من الأعلى .

سوف يستبدل ظلامنا بالنور ، وخطيئتنا بالغفران ، ويأسنا
بالرجاء ، وحرزنا بالفرح .

ربى وإلهى

إننى خجلان من طبيعتى . من دواخلى !
فقد أصلحت صورتي ، فجعلتها مضيئة فى عيون الناس .
مارست العبادة الشكلية ومارست التجميل والتأدب .
لكنى غارق فى بحور الشر والخطيئة ، تأخذنى أفكارى إلى
مستنقعات العار .

والآن أجيء إليك لتغيرنى .
أصنع فى داخلى معجزة التغيير . امنحنى طبيعة جديدة منك .
أخرج من سقوطى انتصاراً .. أخرج من خداعى حقيقة .
أخرج من مرارتى حلاوة .. غير حياتى ..
أعطى قلباً جديداً وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى .
يارب

يقول (نيومان) :

الحياة هى التغيير
والحياة الجيدة هى
التغيير المستمر

٤ - دعوة للحياة

صنع النحات العظيم (مايكل أنجلو) تمثالاً رائعاً ضخماً لموسى النبي ، فوقف أمامه مذهولاً لأنه لم ينطق ، فصرخ في وجه التمثال قائلاً : تكلم !

ولم يكن من الممكن أن يتحدث تمثال من الحجر ، وهو معذور في صمته ، لكن ماذا عن البشر الذين يسمعون ويدركون ويحسون ثم بعد ذلك كله يصمتون ولا يجيبون ؟

قد يحسب البعض أن التجاوب مع الحياة يعنى السير مع تيارات الحياة .. والواقع أن السير مع التيار ليس هو أدق صورة للحياة ، فكثيراً ما يحمل التيار أجساماً ميتة .

وقد يحسب البعض أن التجاوب مع الحياة هو الارتواء بما تقدمه الحياة من متعة أو خيرات مختلفة ، والواقع أن هذا النوع من التجاوب مع معطيات الدنيا هو تجاوب غريزي ، قد يوفر نجاحاً دنيوياً محدوداً ومؤقتاً ..

لكن التجاوب مع الحياة بمضمونه الروحي العميق يعنى التجاوب مع (روح الحياة) مع (الصوت الإلهي) مع (اللمسة الربانية) مع (القوة الخفية) التي تغير القلب ، وتغير الإرادة ، وتغير الاتجاه .

إن الله يهبنا الخير ، ويملاً أيدينا من النعم ، وهذا جانب تلتقى فيه إرادتنا مع إرادة الله . نحن نريد أن نأخذ وهو يريد أن يمنح .. لكن الله يريد لنا شئ أفضل .

إنه يدعونا إلى الحياة .. إلى الخلود .. إلى الحياة الأبدية والمجد الخالد خلف أفق الزمن . وهذه الدعوة هي دعوة (لقبول روح الله) .

إنها ليست شيئاً نفعله ، بل هي شيئاً نقبله ، مثلما تقبل التربة البذرة الحية التي تحولها من أرض ميتة إلى أرض متفجرة بالحياة والثمر .

كيف نتجاوب إذن مع دعوة الله للحياة ؟
ذلك بأن نفرغ القلب من أفكاره البشرية ، ونفتح القلب لله ،
ليملأه بروح الحياة .

عزى

إن صوت الإرشاد الإلهى يتمثل فى همسات روح الله الموجهة
إلى أرواحنا ، وهى همسات رقيقة هادئة تستهدف إدارة أفكارنا ،
وتحريك ضمائرنا ، وتوجيه قلوبنا إلى الله .
إن دعوة الله لنا هى للحياة الأبدية التى يقدمها لنا هبة مجانية ،
وعطية لا يدركها العقل ، ولا يستقصى حدودها فكر ، هى حياة
الدهور غير المتناهية .

لوسألتنى - قارئى العزيز - ما أعظم وصية قيلت فى
الإنجيل تناسب حالة الإنسان الآن وفى هذا العصر ، لما ترددت أن
أقول : " أمسك بالحياة الأبدية التى إليها دُعيت " (١ تى ٦ : ١٢)

فعليك أيها الحبيب أن تمسك بالحياة الأبدية التى إليها دعاك
الرب ، ولما يدعو الرب ، تكون دعوته خارجه من صميم رسالته
التى جاء ليتممها للبشر ، فلقد جاء المسيح ليؤهلنا بالنهاية أن ندخل
الحياة الأبدية .

ودعوة الحياة الأبدية هى بالنسبة لنا إنقاذ سمانى من حياة هذا
الدهر ، الذى ازدادت همومه وأوهامه وتيهانه إلى أقصى حدود
التيه والضلالة ، حتى أصبح بلا تهويل ، بل بالحق كل الحق ، أن
الذى يماشى هذا الدهر ويلهو بملاهيته ، لا نقول أنه قد ضل ، بل
يكون قد كتب بخط يديه أنه قد تغرب نهائياً عن المسيح ودعوته ..
وهو يعيش حياة الموت راضياً باختياره .

ولهذا الإنسان ، أتت دعوة المسيح للنجاة من موت وحرمان
وهى أن " أمسك بالحياة الأبدية التى إليها دُعيت " (١ تى ٦ :

(١٢

فدعوة الحياة الأبدية ورجاؤها هي المنفذ الوحيد الذي ينتشلنا من تيار الهلاك الذي يحصد الملايين . وهنا الموت أمامك ، وأمامك أيضاً الحياة " فاختر الحياة لكى تحيا " (تث ٣٠ : ١٩) ، ولا تمت بلا رجاء .

إن بيت الآب .. نوافذه الرئيسية تطل على الأرض .. هو المكان الذى فيه يستقبل أولئك الذين تحطمت حياتهم لإصلاحهم .. وتجديدهم ..

هنالك توجد المحبة غير متخفية ، وهنالك يُرحب بالابن الضال ، فتعزف الموسيقى الأبدية ، وتصبح الأفراح لا حد لها . أما الذين يعيشون فيه ، فإنهم يشاهدون الله وجهاً لوجه إلى الأبد ، وكل ما له فهو لهم .

إن الذى يجعلنا نثبت فى المسيح ماسكين فى الحياة الأبدية هو زيف هذا العالم ، والمصائب والمكائد التى يحتفظ بها ، لكن مَنْ أغراه العالم وجذبه إلى خداعه .

إن حياة الإنسان ليست مسرحية أخرجت على المسرح بواسطة إله حسب هواه ، لكنها فرصة للإنسان المجيدة ، لأن يسترد ما فقدته البشرية ، بمساعدة الرب الذى أوجد الطريق إلى السماء ، والذى هو مستعد فى كل مرحلة . وعلى طول الطريق أن يمد الإنسان بالحياة الأبدية .

إن تلك الحياة الأبدية هى وحدها التى تُمكّنه أن يتنسم ، حتى وفى الوقت الحاضر ، وهنا على الأرض ، نسيم السماء ذاته ، وأن يُلهم بروح حياة الرب يسوع التى عاشها على الأرض .

يقول موسى النبى فى مزموره : " إحصاء أيماننا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة " (مز ٩٠ : ١٢) .

ما معنى أن تحصى أيامك ؟
معنى ذلك أن تتحرك فى إطار يومك بخطوات محسوبة ، تسير مع الرب خطوة بخطوة .

لديك فرصة مكونة من أربع وعشرين ساعة ، لأن تعيش يوماً كما لم تعيشه من قبل – يوماً فريداً ومنفصلاً ومميزاً تماماً عن سائر الأيام .

مشحون بالامكانيات والقدرات . والله يمنحك هذه الأربعة والعشرين ساعة لتستثمرها فى فرصة أبدية تبلغ قيمتها آلاف السنين .

عجبنى على ذلك الإنسان الساقط المطرود من أمام وجه الله ، الذى استقبله تراب الأرض ليحيا فيه ، ويموت تحته ، ليصير فى ملاء زمان الخصام الإلهى والقطيعة التى جمعت الإنسان مع الحيوان ، ليموت موته ويُدفن دفته ، ولكنه – بخلاف الحيوان – يقوم قيامته هذه ليصعد مع ابن الله كرفيق قيامة وشريك حياة أبدية ، ويكون مع المسيح الذى أهله هذا التأهيل الذى لا يدركه عقل ولا معقول .

مَنْ يصدق خبرنا هذا ، ولمن استُعَلنت ذراع الرب ، التى رفعتنا من التراب ومن تحت التراب إلى علو السموات هكذا ، مع مَنْ ؟

مع المسيح ابن الله الوحيد المحبوب ، الذى نضح علينا من بنوته لله ، ومن لاهوته ، حياة أبدية .

ربى وإلهى

أعرف أننى لم أفهم دعوتك .
لم أدرك أنك تدعونى للحياة .
حاولت أن أكون صالحاً ، لكن قلبى ظل كالأرض اليابسة –
كالأرض الميتة – أرضاً تنبت الشوك .
تجاوبت مع غرائزى وأطماعى .
تجاوبت مع كل دعوة للمتعة والكسب ، وتجاهلت قداستك .
تجاهلت حاجتى لروحك ليظهرنى ويغيرنى ويبعثنى من موتى .

فاسمعى يارب صوتك واضحاً ، واملائى فهماً ، واملائى
خضوعاً وتغيراً .
امنحنى قلباً متجاوباً ، يردد صدى نداءك ، ويدرك عمق
محبتك وقصدك .
اجعلنى أدرك أن دعوتك للحياة الأبدية هى إنقاذ لى من حياة
هذا العالم الفانى .

يارب

السير فى الطريق
الصالح أقل عناء
ويوصل بسرعة إلى
السماء التى هى اتجاه
كل العقلاء والحكماء

٥ - ألوان الحياة

رجل شريف يدعى (بونيفار) قصته هى واحدة من قصص العظماء الذين لا يتلونون ، والذين يثبتون بدمائهم أن الرجال معادن كريمة ذات ألوان وضاءة لا تؤثر فيها النار ، فقد استطاع هذا الرجل بصموده ونقائه أن يفجر النور فى زنازته المظلمة ، على حين امتلأت قصور السادة بالظلال السوداء والعتامة رغم المصابيح المضيئة والأنوار الساطعة .

فى حصن (شيلون) السويسرى المقام على جزيرة فى بحيرة (جنيف) وفى إحدى زنازينه تحت الأرض التى شهدت من حوادث يُضرب بها المثل فى الوحشية .

فى هذا السجن المُظلم المُرهَب للنفس ، سُجِنَ أولئك التعساء الذين ذاقوا العذاب ، وكانوا أغلبهم قد أُتهموا ظلماً بإدخال الطاعون .

وكان من بينهم الوزير (بونيفار) حيث قيده بالسلاسل إلى أحد الأعمدة لمدة أربع سنوات طوال .

إن هذا العمود الذى قُيِدَ فيه قد شهد الظلم الذى تعرض له ، بينما الأمراء يحتفلون ويتنعمون فوقه بأمطار قليلة .

حقاً .. لم يكن أصحاب الفخامة هم أبطال ذلك العصر الحقيقيون ، بل ساكنوا الزنازنة الأمانء الأبرياء .

للناس ألوان ..

بالرغم من تشابه البشر بصفة عامة فى تركيبهم الجسدى ، إلا أنهم قد يصطبغون مع الأيام بألوان مختلفة تحكم سلوكياتهم واتجاهاتهم ، وألوان الناس ليس لها صلة بلون بشرتهم أو ملامح أجسادهم ، لكنها قد تتصل اتصالاً شديداً بميولهم ودوافعهم .

من الناس مَنْ هو شفاف كالبلور ، ومنهم مَنْ هو ناصع
البياض كالثلج ، ومنهم مَنْ هو أسود كالفحم ، ومنهم مَنْ هو
رمادى كالتراب أو كالح كالرمل ، ومنهم مَنْ اصطبغت حياته
بحمرة الدماء .

فكيف تتلون الحياة ؟

هل تتلون حياتنا دون أن ندري ؟

هل تولد ألواننا معنا ، أم تتلون وجوهنا خلال مسيرة العمر ؟

كيف تتلون حياة البشر ؟

هناك نظريات كثيرة يتداولها المفكرون حول ألوان البشر :

♦♦ فهناك مَنْ يقول أن الإنسان يولد ناصعاً كلوحة بيضاء ، ثم
تتلون حياته (تتبقع) بألوان مختلفة تصنع صورته ، فيصبح ترابياً
أو فحمياً إلى غير ذلك .

ولو صدقت هذه النظرية لقلنا أن أفضل الناس هم أولئك الذين
لم يخرجوا قط من أبعاد طفولتهم ، ولم يحتكوا مطلقاً بالحياة
المتسعة . وأن أكثر الناس تلوثاً هم أكبرهم سناً ، وهذا ظلم فادح
لآبائنا وأجدادنا وشيوخنا .

♦♦ وهناك نظرية تقول أن الإنسان يولد ميالاً للخطية
والشرور ، فهو يولد بطبيعة سوداء كقطعة الفحم ، ولكنه مع الأيام
يستنير بالمعرفة ، فتستضيئ حياته يوماً بعد يوم ، حتى يبلغ
الاستنارة الكاملة !

فالمضمون هنا هو أن المعرفة تمنحنا اللون الناصع . ولو
صدقت هذه النظرية لقلنا مساكين هؤلاء الصغار الذين لم ينالوا
شياً من المعرفة بعد فهم أظلم الناس ، ومساكين جميع الشبان
والشابات والأحداث – فهم يعيشون أفضل سنوات عمرهم بألوان
داكنة لم تبيض بعد !

♦♦ ويميل الكثيرون إلى نظرية تقول أن البشر يولدون بلا
لون ، ثم تلونهم الحياة بألوانها المختلفة بحسب البيئة والظروف
المعيشية ، ولو كان هذا صحيحاً ، فلماذا نجد في البيئة الواحدة
والنشأة الواحدة ألواناً مختلفة من البشر ؟

فقايبين وهابيل كانت بيئتهما واحدة ، ونشأتهما واحدة ، ومع
ذلك كان هابيل باراً ، وكان قايبين قاتلاً (عب ١١ : ٤ ؛ تك ٤ :
٨) .

♦♦ ويقول آخرون أن البشر يولدون شفافين لكن أعمالهم تلون
حياتهم ، فيتلون اللص مثلاً بلون الليل ، ويتلون السفاحون بلون
الدم .. إلى غير ذلك . وهذه النظرية تبدو معقولة ، غير أنها تترك

إذن فنحن نحتاج إلى قوة من خارجنا تقوم بتطهيرنا .
من أين لنا الحياة البيضاء ؟

هذا سؤال هام وإجابته سهلة على كل إنسان مخلص جاد ، فكل ما لا نستطيع أن نفعله كبشر يصنعه لنا الله ، لأن " غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله " (لو ١٨ : ٢٧) .

وحين نتساءل من أين لنا الحياة البيضاء ، فإن الإجابة الصحيحة هي : من عند الله .

إن الله وحده هو الذي يبيض قلوبنا ويغسلها من البقع السوداء والبقع الرمادية فتبيض أكثر من الثلج (مز ٥١ : ٧) .

ولا دور لنا في تبييض حياتنا ، فالبحيرة الراكدة الأسنة لا تغسل نفسها ، وزجاجة الحبر الأسود لا تبيض محتوياتها ..

لذلك فلا يمكن أن نغسل أعمالنا بأعمالنا ، لأن أنقى ما تفعله أيدينا لا يزال ملوثاً بما علق بأيدينا من أطماعنا البشرية ، وطبائعنا الأنانية ، وميولنا المنحرفة ، ونفوسنا الخادعة ..

فإن عملنا كل ما كان يجب علينا أن نعمله وفعلنا كل ما أمرنا

أيامى .. أن تخرجنى من رماديتى الشاحبة .. أن تغسل آثامى
وخطيئتى .. أن تغفر الظاهر والخبئى .
أنت النقاء .. أنت الطُّهر ، وأنت البر ، فامنحنى طهراً من
طهرك ، وامنحنى براً من برك ، وامنحنى نقاءً من نقائك ، فهذا
هو اللون الوحيد الذى يجعلنى مقبولاً عندك
لون حياتى بلون الرضا ، فأكون مقبولاً فى سمائك ، مكتسباً
برداء برك

يارب

القداسة هى النبع الصافى
الذى تنطلق منه المياه
الحية ولا تكف عن
الجريان ، حتى تصب
فى بحر الأبدية .

٦ - كيف ترى الحياة

إننا لا نرى الأشياء كما هي ، بل نراها بحسب مَنْ نكون نحن .
فالكيفية التي نعرف بها الحياة ، تحدد مصيرك ، كما أن نظرتك
التي تتبناها للحياة سوف تؤثر على كيفية استثمار وقتك ، وإنفاق
مالك ، واستخدام مواهبك ، وتقدير علاقاتك .
من أفضل الطرق التي تساعدك على فهم الأشخاص الآخرين
هي أن تسأل كل منهم : [كيف ترى حياتك ؟]
سوف تكتشف عندئذ أنه توجد إجابات مختلفة كثيرة لهذا
السؤال بحسب اختلاف الأشخاص .
فقد قيل عن الحياة أنها سيرك ، حقل ألغام ، قطار سريع ،
مناهة ، سيمفونية ، فن ، رحلة ، رقصة ، سباق ، معركة .
وصرح أشخاص آخرون أن [الحياة دوامة : أحياناً تأخذك
لأعلى ، وأحياناً لأسفل ، وأحياناً تدور بك فحسب] .
أو [الحياة دراجة ذات عشر سرعات تحتوى على ناقل
سرعات لا نستخدمه على الإطلاق] .
أو [الحياة لعبة ورق عليك أن تلعب بالورقة التي تُعطى
لك] .

عزيزى

إذا سألتك كيف تتصور الحياة ، فما هي الصورة التي تأتي إلى
ذهنك ؟
تلك الصورة هي نظرتك للحياة التي تتبناها فى ذهنك .. إنها
وصفك لكيف تعمل الحياة ، وما الذى تتوقعه منها .
إن تصورك الذهني عن الحياة يؤثر على حياتك أكثر مما
تتخيل ، فهو يحدد توقعاتك ، وقيمك ، وعلاقاتك ، وأهدافك ،
وأولوياتك ..
إن كنت تظن ، على سبيل المثال ، أن الحياة هي حفلة ،

سوف تكون قيمك العليا فى الحياة هي الحصول على المتعة .
وإن كنت ترى الحياة على أنها سباق ، فإنك سوف تقدر
السرعة ، وأغلب الظن سوف تكون فى عجلة من أمرك معظم
الوقت .

وإن رأيت الحياة كأنها معركة أو لعبة ، فإن الفوز سوف يكمن

إن الطريقة التي ترى
بها الحياة هي التي
تشكل حياتك

٧ - الهدف الأسمى لحياتك

إن الهدف المطلق للكون هو إظهار مجد الله .. ذلك هو سبب كل الأشياء الموجودة ، بما فيها أنت ، إذ يقول الله عنك : " لمجدى خلقته وجبلته وصنعتة " (إش ٤٣ : ١٨) ..
هو خلقك لمجده ، لذلك يتعين أن يكون ذلك هو الهدف الأسمى لحياتك .

لقد صنع الله كل شيء لمجده ، وبدون مجد الله لما كان هناك أى شيء " لأن منه وبه وله كل الأشياء . له المجد إلى الأبد " (رو ١١ : ٣٦) ، " الرب صنع الكل لغرضه " (أم ١٦ : ٤) .

إننا لا نستطيع أن نزيد شيئاً على مجد الله ، كما يستحيل علينا بالضبط أن نجعل الشمس أكثر إشراقاً ، لكننا مطالبون أن نعرف

بمجده ، ونعلن مجده ، ونعكس مجده ، ونعيش لمجده ، لماذا ؟

أولوياتك وأعمالك وعلاقاتك وكل الأشياء الأخرى .
هل ستحيا لأجل أهدافك وراحتك وسرورك الخاص ، أم إنك
ستحيا ما تبقى من حياتك من أجل مجد الله ، عالماً أنه قد وعد
بمجازاة أبدية ؟

لقد حان الوقت للبت في هذه القضية .
مَن الذى سوف تعيش لأجله - نفسك أم الله ؟
قد تتردد متسائلاً : هل لديك القوة لتعيش من أجل الله ؟
لا تقلق ، فإن الله سوف يعطيك ما تحتاجه لو أنك فقط قد
اتخذت القرار بالحياة لأجله " كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل
ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة " .
(٢ بط ١ : ٣) .

إن الله يدعوك الآن لأن تحيا لأجل مجده عن طريق إتمام
مقاصده التى صنعك من أجلها (٣٧)
تلك هى حقاً الطريقة الوحيدة للحياة ، وكل ما عدا ذلك ، فهى
ليست حياة ، بل مجرد بقاء على قيد الحياة .

إن الحياة الحقيقية تبدأ بالتزامك الكامل نحو الرب يسوع . إن
كنت لست متأكداً من أنك قمت بذلك ، فكل ما تحتاج أن تفعله هو
أن تقبل وتؤمن . " أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا
أولاد الله أى المؤمنون باسمه " (يو ١ : ١٢) .. فهل تقبل عرض
الله ؟

آمن أن الله يحبك وقد صنعك لأجل مقاصده .

آمن أنك لست صدفة .

عندما تدرك هذه الحقيقة بالكامل ، لن تواجه مشكلة مرة أخرى مع الإحساس بانعدام القيمة ، إذ أن ذلك يثبت قيمتك .
إن كنت بتلك الأهمية لدى الله ، وهو يعرف قيمتك الثمينة جداً لدرجة الاحتفاظ بك معه طوال الأبدية ، فأى أهمية أعظم من هذه يمكن أن تكون لك ؟

إنك ابن الله ، كما أنك تدخل السرور إلى قلبه أكثر من أى شئ آخر قد خلقه .

إن إرضاء الله هو القصد الأول لحياتك ، وأهم مهمة لديك هي أن تكتشف كيف تقوم بذلك . كما يقول الوحي الإلهي : " مختبرين ما هو مرضى عند الرب " (أف ٥ : ١٠) .

لله أعظم هدف لحياتك ..

إن أكثر ما يريده الله منك هو علاقة حب بينه وبينك . تلك هي أكثر الحقائق المذهلة في الكون . إن خالقنا يبتغي حياة الشركة معنا

لقد صنعك الله كي يحبك ، وهو يشناق إلى أن تحبه بدورك . إنه يريد محبتك له ..

إنه يحبك وكأنك أنت الإنسان الوحيد على الأرض .. هل يمكنك أن تحس بولع الله بك ؟

إن الله يحبك بعمق وهو يرغب في التمتع بمحبتك له رداً على محبته لك . لذلك يجب أن يكون أعظم هدف لحياتك هو أن تتعلم كيف تحب الله ، وتستقبل محبته لك . لا شئ يضاهي ذلك في الأهمية . لقد أطلق الرب يسوع (على ذلك) (الوصية العظمى) .

فحينما سأله فريسي قائلاً : " يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس " (مت ٢٢ : ٣٦) .

أجاب يسوع وقال : " تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى .

والثانية مثلها ، تحب قريبك كنفسك " (مت ٢٢ : ٣٧ - ٣٩) .
فليكن أعظم هدف في حياتك - أيها الحبيب - هو أن تحب

الله والناس . إن الله يحبك أكثر مما يمكنك أن تتخيل . وأعظم تعبير على ذلك هو ذبيحة يسوع المصلوب فوق رابية الجلجثة لأجلك " الله يَبِينُ محبته لنا ، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا " (رو ٥ : ٨) .

إذا كنت تريد أن تعرف كم تعنى بالنسبة لله ، انظر إلى يسوع المصلوب يقول لك : [هكذا أحببتك .. إنى أفضل الموت عن الحياة بدونك] .

إن معرفة الله ومحبته هي أعظم امتياز لنا ، فنحن معروفون لدى الله ومحبيون إليه . الأمر الذي يملأ قلبه بأعظم سرور .

لست استخدم مواهبك وقدراتك ..

لقد حان الوقت كي تفلح في حياتك .

قم بالأشياء التي قد صممك الله لتفعلها .

إن الله يستمتع في الحقيقة بمراقبة كل تفاصيل حياتك ، لا تقوته حركة واحدة مما تقوم به . إذ يخبرنا مرنم اسرائيل الحلو : " من قبل الرب تثبتت خطوات الإنسان ، وفي طريقه يسر " (مز ٣٧ : ٢٣) .

كل نشاط بشري ، ما عدا الخطية ، يمكن أن يُعمل لإرضاء الله إذا كنت تقوم به كموقف تسبيح .

يمكنك أن تغسل صحننا ، وتزرع محصولاً ، وتبيع منتجاً ، وتصلح ماكينة ، وتكتب برنامج كمبيوتر ، وتكوّن أسرة لمجد الله . فالله مثل الوالد الفخور ، يستمتع خصوصاً بمراقبتك وأنت تستخدم المواهب والقدرات التي أعطاه لك ، إذ يخبرنا الوحي الإلهي قائلاً : " المصور قلوبهم جميعاً . المنتبه إلى كل أعمالهم " (مز ٣٣ : ١٥) .

إنك إذا أخفيت قدراتك أو حاولت أن تكون شخصاً آخر ، ولا تكون نفسك ، في أي وقت ترفض أي جزء من نفسك ، فإنك ترفض حكمة الله في خلقك . إنك بذلك لا تقدم المجد والرضا لله .

فابدأ إذن في استخدام مواهبك وقدراتك لإرضاء الله .
إن ما ينظر الله إليه هو موقف قلبك .. هل إرضاءه هو أعمق رغبة لديك ؟

كان ذلك هو هدف حياة القديس بولس الرسول ، فجنده يقول :
" لذلك نحترص .. أن نكون مرضيين عنده " (٢ كو ٥ : ٩) .

عندما تحيا على ضوء الأبدية ، يتبدل تركيزك ..

من [ما هو كم السرور الذي أناله من حياتي ؟]

إلى [ما هو كم السرور الذي يناله الله من حياتي ؟]

إن الله يبحث عن أشخاص يرغبون في العيش من أجل سروره

إن العيش من أجل مجد الله هو أعظم
إنجاز يمكننا أن نحققه بحياتنا

٨ – الأهم ثم المهم

وقف الأستاذ وسط تلاميذه داخل الفصل ومعهم الوسائل التعليمية ، وبدأ الدرس دون أن يتكلم بأن أخرج بعضاً من كرات الجولف ، ووضعها في عبوة زجاجية كبيرة فارغة ، حتى امتلأت إلى آخرها ، وسأل تلاميذه : [هل امتلأت الزجاجاة ؟]

فأجابوه : [نعم] .

ثم أخذ صندوقاً صغيراً به حصى وسكبه داخل الزجاجاة ثم رجها حتى امتزجت مع كرات الجولف ، وذلك لأنها ملأت الفراغات الموجودة بين كرات الجولف ، وسأل مرة أخرى : [هل امتلأت الزجاجاة ؟]

أجابوه : [نعم] .

ثم أخذ صندوقاً من الرمل ، وسكبه فوق محتويات الزجاجاة ، حتى امتلأت كلها . بعد أن ملأت حبات الرمال الفراغات الموجودة بين الكرات والحصى .

وبدأ يشرح لهم ماذا فعل وقال : [هذه الزجاجاة تمثل حياة كل واحد منكم . وكرات الجولف تمثل الأشياء الضرورية في حياتك ..

اهتم أولاً بكرات الجولف ، ثم باقى الأشياء .
حدد أولوياتك ، فالبقية مجرد رمل .

أخى القارئ

إننا كثيراً ما نسمع هذه العبارات : (ليس لدى وقت) ، (أنا مشغول جداً) .. هذه العبارات أصبحت تتردد على السنة غالبية الناس فى عصرنا الحالى ، الذين أصبحوا مشغولين بالعديد من المهام .

فإذا سألت شخصاً : هل تذهب إلى الكنيسة ؟

يقول لك : أنا مشغول جداً .

وإذا سألت آخر : هل تقرأ الكتاب المقدس ؟

يقول لك : ليس لدى وقت .

يوجد فى دار الكتاب المقدس لافتات ورقية مكتوب عليها :

[إذا سألك أحد : لماذا لا تقرأ الكتاب المقدس ؟

لا تقل : لا يوجد وقت ، بل قل : لا يوجد رغبة] .

عزى

(٤١)

اعلم أنك لى تتجح فى حياتك وتجد ثمراً متزايداً لابد أن تفعل

الأهم ثم المهم .

عندما أرسل الرب يسوع تلاميذه فى إرساليتهم ، أرسلهم اثنين

اثنين ، وطلب منهم ألا يحملوا معهم ، لا مذوداً ، ولا ثوبين ، ولا نقوداً .. كان ذلك أمراً منه لى يُنفذ حرفياً ، وأيضاً رمزياً .

فعليك فى رحلة الحياة أن تتخل عن كل ما ليس مهم .. اخرج

خارجاً كل المعوقات ، وكل النقائص القديمة ، وكل إحساس بالفشل

.. عليك أن تسير فى الطريق بدون أتعاب ، بقلب خفيف حر غير

هذا التساؤل يوضح أسباب الفشل الرئيسية في الحياة . ويرجع عدم نجاح الإنسان في الحياة إلى عدم السلوك بحسب وصايا الرب

فالسُّلوك بوصايا الرب هي الأهم ، وملكوت الله هو الأهم ، أما أمور هذا العالم الباطلة ، فهي ليست مهمة .

أتعشّم في وجه ربي يسوع أن تكون حياتك مضيئة بنعمة الله مستمتعاً بقرب المسيح ، ولك شهادة حسنة في الضمير من جهة استرضاء وجه الرب بكل عمل وقول صالح .

كما أتوسل من جهتك أن تظل تطلعاتك المقدسة هي لحياة كاملة في التقوى والقداسة .. لأننا نحن الذين عرفنا حب الله وذقنا عشرته وصلاحه وتلذذنا بقوى الإيمان والتهارة وبركاتهما ، يستحيل أن تنتقض الأيام من سعادتنا ، بل تجئ السنون ونحن كما نحن ، وتلف دورات الحياة ونتقابل في شيخوخة الزمن الفاني بقلوب فتية نقية ، وبإيمان الشباب الحار المتأجج ، وبمفهومات البراءة والظهور كأيام الطفولة وأعمق .

نحن عرفنا كيف نضحك على الأيام ونسخر من الزمن ولا نبالي باستراق السنين لألوان شعرنا أو بقدرة العتق من تشويه قسّمات وجوهنا ، لأن لنا إيماناً ساطعاً ينبع من شمس البر التي أشرقت برحمة إلهنا في قلوبنا ولن تغيب .

والسّماء والأرض تزولان ، وروح الله الذي فينا يشدّدنا ، يخلق لنا كل يوم سماء جديدة وأرض جديدة .

إن من وراء هموم الحياة وأثقال المستقبل سبّطل لديك رصيد لا يقل ولا يتغير من الآمال المقدسة وأعمال المحبة الخالدة ، وفرحة النصر على أو هام الناس الذين يغرقون فيها بإرادتهم ، ولا يستطيعون القيام منها بمشيتّهم ، أما أنت يا مَنْ أدركت كلمة السر ، فاهتف بمجد مَنْ علم يديك القتال ، وسلم روحك فن الخلاص .

تقو لأن الزمن زمن جهاد ، والعريس على الباب .
ليكن لك حياة في الرب أو بالحرى لتكون حياته فيك .

لتكمل سيرة صالحة مقدسة أمامه وبلا لوم أمام الناس .
كم من الأنشطة ليس لها دور في حياتنا سوى استنزاف طاقتنا في الحياة ؟

علينا أن نسأل أنفسنا عن الأمور التي تشغلنا ، لأنه من الوارد أن ننبشعل بشيء ما لدرجة أن نهمل شيئاً آخر أكثر أهمية

من التفاؤل يولد الأمل
ومن الأمل يولد العمل
ومن العمل يولد النجاح

٩ - قصيدة الله

قال شهيد وقد أحاطوه بالخشب لحرقه : [إن ما عملته في حياتي . اختمه الآن بدمي]
ما أجملها عبارة .. لقد ختم (هَذَا الشَّهيد حياته الممتلئة بالأعمال الصالحة وأعمال الخير التي تمجد اسم الرب .
ختمها بدمه مقدماً ذاته كذبيحة ومحرقة مرضية أمام الله .

أخى القارئ

ما هي أعمالك التي ستقف بها أمام الله عندما تختم أيام حياتك ؟
هل كانت أعمالك صالحة ؟

يقول فيلسوف المسيحية القديس (بولس الرسول) : " لأننا نحن عمله مخلد قين ، في المسيح بسمه أعمال ، صالحة قد سبق الله

إن العمل أمانة في أعناقنا سنحاسب عليها أمام الله ، ولا بد وأن تنتهي أيام الحياة بنجاحها وفشلها ، ولكن أعمالنا لا تموت كما نموت ..

ولكنها ستبقى شاهدة علينا ، وسيقف كل واحد أمام القضاء الإلهي ..

لذلك لتكن كل أعمالنا لإرضاء الله ، فتظل القصيدة الإلهية مضبوطة الأوزان ، ويسمو عالمنا المضطرب فوق حدود الأطماع الإنسانية والحاجات الدنيا .

عندما سُئِلَ أحد الخدام المشهورين عن سر نجاحه في تأدية رسالته بين اليتامى والأرامل والعجائز والمرضى ، انحنى إلى الأرض ووضع يده على التراب قائلاً : [لقد وضعت أفكاري وإرادتي واختياري وميولي في التراب ، ونزلت عن حقي في عطايا العالم المحيط بكل ما فيه من قبول وحماية أو رفض وعداوة

وأغلقت أذني عن تشجيع الأصدقاء أو لومهم ، ووضعت مصيري في يد الله وحده] .

اعلم أيها الحبيب - أن الله لا يهتمه مقدار العمل الذي تقوم به ، بل نوعه .

فالذي تاجر وربح وزنتين لم يكن أقل قيمة في نظر الرب يسوع ممن ربح الخمس وزنات . ففي هذا المثل الذي قاله السيد المسيح ، نرى أن الاثنتين استحقا الصوت الإلهي القائل : " نعماً" أيها العبد الصالح والأمين . كنت أميناً في القليل ، فأقيمك على

أعطائها .

يقول الرسول بولس : " لأننا نحن عمله ، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها " (أف ٢ : ١٠) .

إن الكلمة اليونانية المترجمة (عمله) معناها (قصيدته الشعرية) ، فنحن (قصيدة الله) ، وكما أن أى شاعر يراعى أنواعاً مختلفة من القوافي والأوزان حسبما يتفق مع فكرته ، ولكنه رغم ذلك يكون له قصد معين من كل قصيدة تصدر عن مخيلته المبدعة .

وهكذا يراعى الله قصداً معيناً ، إذ يبدع كل نفس ويقذف بها في سكون الأبدية .

إنه يراقب تنفيذ هذا القصد ، جاعلاً من حياتنا بجمالها قصيدة شعرية رائعة .

ربى وإلهى

أعدنا لاطلاق انداعك

الناجح يتعلق بعظائم الأمور .
والفاشل يتعلق بالصغائر والقشور

(١٠)

١٠ - فن التفكير

انهمك عالم الفيزياء فى تجاربه طوال الليل ، وكان قد قضى نهاره أيضاً داخل معمله المزدحم ، ينتقل بين أدواته العلمية ، يفحص ويراقب ويفكر ويسجل النتائج .

ولم يكن يستقبل أحداً أو يتحدث إلى أحد .
غير أن الكائن الوحيد الذى اجترأ على اقتحام هذه الخلوة كان قطة فرضت وجودها على هذا العالم ، وعاشت معه تقاسمه الوحشة فى معمله .

ولعله تقبلها فى بادئ الأمر مكرهاً ، إذ لم يكن لديه الوقت لطردها ، إلا أنه فيما بعد أنس لها وتعود على وجودها ..
ولم تكن القطة متنبلة مثله ، فما أن استقرت داخل المعمل ، حتى تزوجت وأنجبت قطتين صغيرتين عاشتا معها فى بيتها العامر ، ومرة أخرى تحمل العالم على مضض ضيوفه النقاء من المستعمرين الجدد ، ولكن ما كان يثيره ويفقده ثوابه ، هو ذلك المواء الحاد الذى تصدره القطط الثلاث حين تعلن عن رغبتها فى الخروج ، فيضطر إلى الإسراع بفتح الباب . ثم العودة سريعاً إلى تجاربه ، وما يكاد يستعد تركيزه حتى تعود القطط مرة أخرى تعلن بصوت أكثر إزعاجاً عن رغبتها فى الدخول ، فيقفز ليفتح الباب .. وتتكرر رغبات الخروج والدخول طوال النهار والليل .

وكان لأبد للعالم الكبير أن يجد حلاً سريعاً وإنسانياً . فاستدعى نجاراً ، وقال له : [أريدك أن تصنع فى أسفل الباب ثلاث فتحات ، احداهن واسعة تسمح بمرور القطة الأم ، والثقبين الآخرين ضيقين لمرور الصغيرتين ، ولا تنس أن تمر بين أن وآخر لتوسيع الفتحتين الصغيرتين لتناسباً نمو القطتين] .

ونظر النجار إلى العالم بذهول وقال : [عفواً يا سيدى .. فلا يليق بإنسان بسيط مثلى أن يراجعك ، لكن لماذا الفتحات الثلاث ؟

إن الفتحة الواحدة الكبيرة (التي تسلمح بمرور القطة الأم ستسمح أيضاً بمرور القطتين الصغيرتين وراءها] .

وأفاق العالم الكبير ، وأدرك أن عقله يفكر بطريقة حسابية بحتة ، جعلته يتصور أن عدد الفتحات لأبد أن يتطابق مع عدد القطط .

صديقى القارئ

رغم غرابية هذه القصة فى حياة العالم المشهور ، ورغم طرافتها ، فمن الطبع أن يفكر صاحب العقلية العلمية بطريقة

لكنها إجابة متكلفة ، وهى تشير إلى نمط التفكير الذى لا يستطيع أن يسير فى اتجاه مباشر ، فهو دائماً يمر بمنعطفات جانبية ويدخل فى حساباته أشياء كثيرة ربما كان من الممكن تجاوزها ، ولكن أصحاب هذا النمط الفكرى لا يستطيعون غير ذلك .

ب - التفكير المعكوس :

يحكى فى قصص الفكاهة الصينية أن رجلاً ذبح جماً أمام منزله ، ثم أراد أن يسلخ الجمل ، فلم تسعفه سكينه الصدئة ، فترك الجمل المذبوح ، وذهب للبحث عن المسن فوجده فى الطابق العلوى من المنزل ، فس السكين ونزل إلى الشارع ليلس الخ الجمل ، ولم يمض غير وقت قصير حتى ثلمت سكينه ، فصعد مرة أخرى إلى الطابق العلوى ليسنها ، واستمر الرجل فى صعوده ونزوله كلما احتاج إلى سن السكين ، وراه جاره يفعل ذلك فقال له : [لو أنك وضعت كل الأشياء التى تحتاجها فى مكان واحد ، لوفرت جهدك ووقتك] .

وتفكر الرجل فى الأمر وقال : [إن جارى على حق] .
ومضى فأحضر حبلاً غليظاً ربط به الجمل المذبوح ، ثم استأجر عشرة من الحمالين ، وصعد الجميع إلى الطابق العلوى

نفعل ؟]

فقال الحكيم : [هذه مسألة بسيطة جداً ، اقطعوا رقبة البقرة] .
فلما فعلوا ذلك ، عادوا إليه يقولون : [صدقت أيها الشيخ
الحكيم لقد انفصلت البقرة عن الجرة ، لكن لدينا مشكلة أخرى ،
فمن فضلك اخبرنا : ماذا نفعل لإخراج الرأس من الجرة ؟]
وهنا قال الحكيم : [هذه أيضاً مسألة بسيطة ، اكسروا الجرة ،
وستجدون الرأس] .

هذا نمط آخر من التفكير ، يمكننا أن نسميه (التفكير
العشوائي) الذي لا يقوم على رؤية شاملة أو خطة محسوبة .
للأسف أخطر قضية :

إن أخطر قضية في حياتنا البشرية هي قدرتنا على استخدام
عقولنا في فهم العلاقة التي تربطنا - نحن الأرضيون - بالإله
الواحد ، إله السماء والأرض .
فنحن نفكر بطرق مادية من وحى أرضيتنا ، بينما الله روح
قدوس .

وخطورة هذه القضية تتمثل في أننا حين نتعامل مع دعوة الله
لنا من خلال أفكارنا المادية وعشوائياتنا فكرنا ، فإنه يتعسر علينا
فهم مقاصد الله السامية ، ونظل تائهين بلا يقين وبلا قوة .

ونحن نحتاج إلى التبصر .. نحتاج إلى الاهتمام .. نحتاج أن
نتعلم كيف نفكر من خلال ذهن روحي مستنير .. نحتاج إلى أذهان
واعية وقلوب مفتوحة مُرحبة .. نحتاج أن نفتح الذهن والقلب أمام
الرب ليكشف لنا ما خفى عنا ، وينتزعنا من ذاتيتنا وأخطائنا ،
فتتوجه عقولنا إلى فهم إرادته السماوية ، ليكشف لنا طريق اليقين
والثبات والحياة الأبدية خلف أفق الزمن .

ربي وإلهي

• أشكر الله دائماً على ما صنعني

- ❖ اغفر لى إهمالى وانشغالى عنك .
- ❖ اغفر لى تفكيرى المادى وتفسيراتى الأرضية .
- ❖ اغفر لى جمودى .
- ❖ اغفر لى عشوائيتى .
- ❖ امنحنى قلباً خاضعاً ، وضميراً يقظاً ، وأذناً صاغية ،
وعيناً شاخصة إليك ، وذهناً مفتوحاً لإدراك حقاك .
- ❖ هنيئاً أن أستشير ، أن أهتدى ، بارشاد روحك القدوس .

إن أخطر قضية
ذهنية تواجهنا هي
أن نفهم قصد الله في
حياتنا .

(٤٦)

١١ - فيما تفكر ؟

كان الفيلسوف (اسحق نيوتن) جالساً والموقد إلى جانبه ، فأحس بالحرارة الخارجة من الموقد تمتد إلى جسده متزايدة حتى

إن الأفكار التي يزرعها الإنسان في عقله يحصد منها نتائج من
النوعية نفسها . فالفكرة تكبر وتتسع وتنتشر من النوع نفسه .
تخيل عقلك كتربة زراعية تضع فيها بنفسك البذور (الأفكار)
ومن نوعية البذور ذاتها تأتي الثمار (السلوك) .
فالشخص الذي يفكر بطريقة سلبية عنده قدرة خيالية في العثور
على السلبيات في أى شئ حتى ولو كان إيجابياً .
فالتركيز السلبي يجعلك لا ترى سوى السلبيات في الأشخاص
والأماكن والمواقف التي تقابلها في الحياة .
لذلك إذا استطعت أن تغير من تركيزك ومن نوعية البذور التي
تضعها في عقلك ستتغير كل نتائجك وكل حياتك .
بالفكرة يستطيع الإنسان أن يجعل عالمه من الورد أو من
الشوك .
إنك عندما تكون مسيطراً على عالمك الداخلى (أفكارك)

بهذا التمرين البسيط الفعال ستندesh بالتغيير القوى الملحوظ
الذى سيطراً على صحتك وحالتك النفسية وحياتك بأكملها .
مع بداية كل يوم تعود أن تشكر الله على كل شئ . وبذلك تضع
نفسك على أول طريق السعادة وحياة الفرح .
تذكر دائماً أن أفكارك من اختيارك وأن الماضى كيفما كان لا
يساوى المستقبل فغداً دائماً أعلى .
إن الأفكار التى نفتكر بها والكلمات التى تخرج من شفاهنا لها
أهمية كبيرة .
ولا بد لنا من دراسة أهمية الأفكار والكلمات ، طالما أننا نعيش
فى هذا العالم .

[أنت هو ما تفكر فيه]

" لأنه كما شعر فى نفسه هكذا هو " (أم ٢٣ : ٧)
إن العقل هو القائد والمتقدم فى كل الأعمال . إن أفعالنا هى
نتيجة مباشرة لما نفكر فيه ، فعندما يحدد ذهننا بحسب كلمة الله ،
سنختبر إرادة الله الصالحة والمرضية والكاملة لحياتنا .
لذلك نحتاج أن نعرف أسلوب التفكير الذى يتفق مع روح الله ،
وكلما تغير ذهنك للأفضل ، تغيرت حياتك للأفضل أيضاً .
يعلم إبليس جيداً أنه سينجح فى السيطرة على تصرفاتنا وأفعالنا
إن نجح فى السيطرة على أفكارنا .
يقول الوحي الإلهى : " لأنه كما شعر فى نفسه هكذا هو " (أم
٢٣ : ٧) .

أى كما يفكر هكذا هو ، وهذه الآية تجعلنا ندرك أهمية التفكير

يقول الرب يسوع : " لأن من الثمر تُعرف الشجرة " (مت ١٢ : ٣٣) .

فالشجرة تُعرف من ثمارها سواء كانت جيدة أو رديئة .
وينطبق هذا القول على حياتنا أيضاً ، فإن كانت أفكارك جيدة
كانت ثمار حياتك جيدة ، وإن كانت أفكارك رديئة كانت ثمار
حياتك رديئة .

وتستطيع أن تعرف طريقة تفكير أى شخص من سلوكه فى
الحياة . فالإنسان الطيب الوديع ، لا توجد فى ذهنه أفكار شريرة ،
والشخص الشرير لا توجد فى ذهنه أفكار حسنة .
[كما تفكر هكذا تكون]

يقول القديس بولس الرسول : " تغيروا عن شكلكم بتجديد
أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة " (رو ١٢ : ٢)

أى أننا نقدر أن نختبر إرادة الله الصالحة والمرضية والكاملة
فقط إذا تجددت أذهاننا ، وأصبحت تتوافق مع فكر الله .
ويقول الرسول بولس أيضاً : " أخيراً أيها الإخوة كل ما هو
حق ، كل ما هو جليل ، كل ما هو عادل ، كل ما هو طاهر ، كل
ما هو مُسبر ، كل ما صيته حسن ، إن كانت فضيلة وإن كان مدح
فى هذه افكروا " (فى ٤ : ٨) .

وهنا يقدم لنا الوحي الإلهى تعاليم مفصلة عن الأشياء التى
يجب أن نفكر فيها ، ويحثنا على التفكير فى كل ما هو صالح وفى
كل ما بينينا . (٥٢)

ومن المؤكد أن أفكارنا تؤثر على تصرفاتنا وحالتنا المزاجية ،
فتعاليم الله هى لخيرنا لأنه يعرف ما يسعدنا وما يتعسنا .
عندما يمتلئ الإنسان بالأفكار الخاطئة تصبح حياته تعيسة ،
وعندما يكون الإنسان تعيساً فإنه يجلب التعاسة على حياة الآخرين
أيضاً .. لذلك عليك أن تسأل نفسك باستمرار :

[فيما كنت أفكر ؟]

اصرف بعض الوقت فى امتحان أفكار قلبك وفحص ما تفكر

فيه .
إن السبب وراء مشكلات وتعاسة الكثيرين هو ما يدور بداخل
أذهانهم من أفكار خاطئة .
افحص ما تفكر فيه وأنت ستكتشف سبب مشاكلك وتبدأ السير
فى طريق الحرية .
يقول القديس بولس الرسول : " وأما نحن فلنا فكر المسيح ")
١ كو ٢ : ١٦) .

ترى ما هو فكرك ؟ هل فكرك هو فكر المسيح ؟
إن الذهن الذى يمتلئ بالأفكار الصالحة هو الآلة التى نحتاج
إليها لنحقق سعادتنا فى الحياة .
يقول القديس بطرس الرسول : " لذلك منطلقوا أحناء ذهنكم ")
١ بط ١ : ١٣) .
لقد قضى كثير من الناس سنوات من عمرهم بذهن شارد ،
لأنهم لم يطبعوا مبدأ تدريب وتهذيب أفكارهم .

صديقى

لقد أعد الله خطة رائعة لحياتك ، فلا تدع إبليس يسلبها منك
بأكاذيبه وحيله ، بل استأسر " كل فكر إلى طاعة المسيح " (٢ كو
١٠ : ٥) .
أفكارنا هى كلمات غير منطوقة لا يسمعها سوى الله ونحن ،
وتؤثر هذه الكلمات على الإنسان الباطن وعلى الصحة العامة ،
وعلى فرحنا ، وعلى اتجاه قلوبنا - فما يخرج من أفواهنا هو ما
يدور فى أذهاننا .

إن السلوك السليم هو نتاج تفكير سليم ، ولن تستطيع أن تغير
سلوكك حتى تغير أفكارك .
يفيد التفكير الصحيح الإنسان ، بينما يدمر التفكير الخاطئ كل
شئ ، ويعيق التقدم للأمام خلال مسيرة الحياة .
إن الاتجاه الإنسانى هو حصيلة فكر الإنسان وانفعاله وسلوكه

بشأن شخص ما أو قضية معينة أو شئ معين .
فقد يتخذ الفرد اتجاهاً ودياً نحو شخص ما نتيجة فكرة حسنة
كونها عنه ، ولدت لديه انفعالات ومشاعر إيجابية نحوه (شعور
بالارتياح عند مقابلته) ومن ثم نشأ سلوك الترحيب وحسن الضيافة
لهذا الشخص .

والعكس من ذلك إذا تكونت فكرة سيئة عن شخص آخر ، يتولد
عنها مشاعر النفور منه ، فيصدر عن ذلك سلوك معادٍ له .
الاتجاه إذن ، هو حصيلة فكر وانفعال وسلوك .

[الاتجاه الإنسانى = فكر + انفعال + سلوك]

فعليك أيها القارئ الحبيب – أن تمتحن مواقفك واتجاهاتك ،
وتتخلى عن كل ما هو سلبي ، وتتخلى بما هو إيجابي .
إن كثيرون لا يهتمون بتغيير مواقفهم في الحياة ، ولا يهتمون
بالسماح لله لكي يغير حياتهم ، ولكن الجادون حقاً هم الذين يفعلون
ذلك .

إن تغيير مواقفنا في الحياة مفتاح لرؤية العالم بعيون الإيمان ،
وهو مفتاح العمل الداخلي لروح الله في حياتنا .
يقول (أوريزون ماردر) : [إن مصيرنا يتغير حسب فكرنا ،
سوف نصبح ما نتمنى أن نكون ، يوسف نفعل ما نتمنى أن نفعل ،
عندما يتطابق تفكيرنا المعتاد مع رغباتنا] .
هناك علاقة وثيقة بين الأفكار والأفعال ، فالفكرة لا تبقى فكرة
لمدة طويلة ، لكنها تصير فعلاً .

قال (نيتشه) : [الأفكار تأتي قبل الأفعال كالبرق قبل
الرعد] .
ويقول (تشارلز ريد) : [ازرع فكراً ، تحصد فعلاً .. ازرع
فعلاً ، تحصد عادة .. ازرع عادة ، تحصد سمة .. ازرع سمة ،
تحصد مصيراً] .

يا نفسى الآن قومى .. البسى مجدك .. اسعدى بإلهك .. هوذا
يقرع .. اتركى كل شئ وهلمى وراءه .. وراءه وحده .
يقول أحد الحكماء : [إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك الحياة
بالباطل] .
فالنفس البشرية بها طاقات لا تهدأ ، وإن لم تنطلق هذه الطاقات
فى العمل والانتاج ، فإنها ستكون عرضة للأفكار الخبيثة التى
تحزن نفوسنا .

أخى القارئ

قد يسيء إليك شخص ما ففتأثر وتفكر ، ويتحدث إليك عقلك أن
هذا الشخص أهانك واحتقرك ، فتغضب وتتوتر أعصابك ،
فتتحدث ضده بكلمات إساءة لا تليق .
ولكن عندما يتحدث إليك عقلك أن تمتص الإساءة وتضبط
أعصابك وتلتمس العذر إلى هذا الشخص ، وتفكر كيف تعامله
بالحسنى ، وكيف تعالج الأمر بالهدوء والحكمة والتبصر ، فإن
عقلك يبعث فيك القوة لكى تواجه الموقف بالهدوء والسلام والحب .
إن عقلك هو أعظم قوة ، وتفكيرك تجاه الأشياء والأشخاص
هو الذى يولد القوة بالسلام والحب (P) وبالغضب والإساءة .
جرب أن تفكر تجاه شخص أو شئ بما هو طيب وحسن ،
وتذكر كل ما هو فضيلة وكل ما هو حسن ، وحاول أن تملأ ذهنك
بالسلام والهدوء .

لا تذكر السيئات ، بل املأ ذهنك بالحسنات وبالإيمان فى
الله ، وبالحب للناس ، وبالرجاء والأمل ، فيمتلئ عقلك قوة ، فتحي
سعيداً مع نفسك ومع الناس .

إن الأفكار الرديئة كالطعام العفن – والجيدة غذاء لكل الحياة .
العقول السليمة هى الحصول على المقدره للاحتفاظ بهدوء

الإنسان في قلبه هكذا يكون – لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة .
إن الأعمال الشريرة التي نراها ظاهرة ، هي مجرد ظلال لخطايا حقيقية كامنة في قلوب الناس .
الحرب الحقيقية هي الحرب الداخلية في الفكر ، وليس العمل الخارجى الذى هو مجرد انعكاس للأصل فى الداخل . وعندما تمنع الخطية فى فكرك ، فأنت تقضى عليها فى مهدها – فعدم التفكير فى الخطية هو القضاء عليها وهو الغلبة والنصرة لك .

لحياتك من صنع أفكارك ..
إن للأفكار المسيطرة على الإنسان تأثيراً عظيماً فى تكييف حياته . إن أفكارنا هي التي تصنعنا ، واتجاهنا الذهني هو العامل الأول فى تقرير مصائرنا .
قال (إيمرسون) : [أخبرنى بما يدور فى ذهن رجل ، أخبرك أى رجل هو] .
نعم .. فكيف يكون الرجل شيئاً آخر غير ما يُبنى عنه تفكيره ؟

إن المشكلة الكبرى التي تواجهنا جميعاً هي كيف نختار الأفكار الصائبة السديدة ، فإذا حللنا هذه المشكلة حُلّت سائر مشكلاتنا ، وزالت إحداها فى أثر الأخرى . إن حياتنا من صنع أفكارنا .
فإذا نحن راودتنا أفكار سعيدة ، كنا سعداء ، وإذا تملكنا أفكار شقية ، أصبحنا أشقياء ، وإذا سادتنا أفكار مزعجة ، غدونا خائفين جبناء ، وإذا سيطرت علينا أفكار المرض ، فالأرجح أن نمسى سقماء ، وإذا نحن فكرنا فى الفشل ، أتانا الفشل فى غير إبطاء .
قال (نورمان فنسنت بيل) : [إنك لست من تفكر أنه أنت ، وإنما أنت هو ما تفكر فيه] .
وقد أكد العالم النفسانى (إنجوليمزى) (هادفيلد) أن لاتجاهنا

الذهنى تأثيراً عجبياً حتى فى قوتنا .
وكم من رجال ونساء استطاعوا تحويل مجرى حياتهم تحويلاً شاملاً عن طريق أفكارهم .

أخى القارئ

(٥٧)

مواقفنا في الحياة

هي أنماط من

التفكير تتشكل عند

١٢ – هل العلاقات فن ؟

أنتجت إحدى الشركات اليابانية المتخصصة في لعب الأطفال جهازاً يعمل على ترجمة أحاسيس القطط ..
والهدف من هذا الجهاز ، هو مساعدة المهتمين بالقطط على فهم مشاعرها وأحاسيسها ..
إنه لمن العجيب جداً أن هناك من الناس من يهتمون بمشاعر القطط والكلاب ، بينما هناك آخرون لا يحترمون مشاعر وأحاسيس اخوتهم من بنى البشر ، فمعاملاتهم معهم جافة ، وعلاقاتهم بهم خشنة .
هناك رأى يقول أن :

العلاقات الإنسانية الطبية (فن) :

إلى وقت قريب – لم يكن العالم يعرف من الفنون سوى فنون الصناعة والحرفة ، ثم اتسع مفهوم الفن ليشمل أشكالاً أخرى من الإبداعات الذهنية والعلمية ، وانضم إلى قائمة الفنون إبداعات قديمة وحديثة كانت تسمى قبلاً علوماً ، فسمعنا عن (فن الخطابة) ، و (فن القصة) ، وغيرها ..
ومن خلال تلك المسميات الكثيرة التي انضمت إلى قائمة الفنون الإبداعية ، عرفنا (فنون العلاقات العامة) ، و (فن الحوار) .

فالحوار هو النسيج الذي يُسهم في نجاح أو فشل العلاقات

وأقيمت لها مؤسسات تعليمية متخصصة ، وأقبل عليها الناس إقبالاً شديداً ، وكان من أشهرها (معهد العلاقات الإنسانية) الذي أنشأه (كارنيجي) بمدينة نيويورك ، والذي ألف كتاب أسماه (كيف تؤثر في الناس) ، وباع منه أكثر من ثلاثين مليون نسخة !

لاشك أن العلاقات الطبية فن جميل .
وهناك رأى آخر يقول أن :

للعلاقات الإنسانية الطبية (ليست فن) :

بالرغم مما حققته فنون العلاقات الإنسانية من نجاح مبهر ، فإن هناك رأى آخر يرى أنه لا ينبغي أن ننظر إلى العلاقات الإنسانية باعتبارها فن ، فالفنون نوع من الصناعات الراقية التي تتميز بالابداع ، والعلاقات الإنسانية أسمى من أن تكون صنعة .. وهي أكبر كثيراً من أن تكون مجرد تلميع للسلوكيات ، أو ترشيد للأخلاقيات ، أو إبهاراً لمن نتحدث إليهم .

العلاقات الإنسانية ينبغي أن تعكس المضمون الإنساني الصادق ، ببراءته و عذراويته ، دون تلوين أو تزويق ، أو خداع ، فلا ينبغي أن تتحول المعاملات إلى فن وتقنية نتعلم بها كيف نغلف مشاعرنا بالـ (إيتيكييت) مثلما يغلف الفاكهي التفاحات المعطوبة بأوراق السلوفان . أو كالذين يرتدون ملابس الحملان ومن داخلهم ذئاب خاطفة أو كالقبور المبيضة من الخارج ومن الداخل عظام أموات تنتنة .

للمنابع الطبية : (٥٩)

إن العلاقات الإنسانية الطبية تتولد في القلوب الطيبة ، فتأتي بثمار طيبة .

وهي علاقات طبيعية تلقائية تنبع من القلب كالثمرة الناضجة على غصنها ، وليست كالثمرة المهجنة التي تتدخل الهندسة الوراثية في تضخيم حجمها أو تلوينها .

وهى العلاقات التى تبين المشاعر الحقيقية الصادقة دون خداع أو مداهنة أو رياء .

العلاقات الإنسانية الطيبة لها أب شرعى واحد هو القلب الطيب فالأرض الطيبة هى التى تنتج النبتة الطيبة ،

وقد تستطيع فنون العلاقات الإنسانية أن تهذب من جفوة التعاملات ، مثلما تستطيع التكنولوجيا تحلية مياه البحر ، لكن النبع الطيب هو الذى تتفجر منه المياه العذبة .

وقد تستطيع فنون العلاقات الإنسانية أن تيسر عقد صفقة تجارية ، ولكنها لا تروى المشاعر الإنسانية المتعطشة إلى البراءة والصدق !

إننا نحتاج إلى قلوب طيبة .. بريئة .. صافية تتوالد فيها مشاعر إنسانية صادقة بلا رياء .

نحتاج إلى قلوب يعيد الله صياغتها .

كل واحد منا هو نسيج متشابك يختلف عن الآخر .

مرات تتعامل بالإحسان ، وتقابل الإساءة ، ومرات تتعامل بالطيبة وتقابل القسوة ، ومرات تتعامل بالأخلاق الكريمة وتقابل سوء الخلق ، ومرات تفعل الخير وتقابل الشر ، وأنت عرضة أن تغضب وتترمر وتثور ، وليس فى مقدورك أن تغير طبيعة الناس ، لأن ذلك فى استطاعة الله عندما يتجاوب معه الإنسان .

ولكن ماذا تفعل وكيف تتصرف ؟

كثيرون يموتون من الغيظ لأنهم يتجرعون سموم الغضب والحقد ، ولهذا يعيش الكثيرون أمواتاً وهم أحياء ..

فكيف تلطف الجو الذى تعيش فيه ؟

وكيف تكون لطيفاً متسامحاً ؟

وكيف تتحلّى بروح المرح والابتسامة .. من غير أن تفرط فى الحق وتكون صادقاً ؟

الحياة إذا اتقنا الأمور فيها ، زادت بهجة وسعادة .. وإذا أحسنأ التصرف ، زادت وداً ولطفأ .

لذلك كل واحد منا يحتاج أن يتعلم فن الحياة .

(٦٠)

ربى وإلهى

أنت وحدك منبع الصفاء الدائم .

أنت وحدك ينبوع الرائق الشفاف .

أما نحن فقد تلوثت حياتنا بالخطية ، وتشوهت إنسانيتنا بالأنانية والأحقاد !

وحين قبحت صورتنا ، تجملنا بالمكر ، اصطنعنا المساحيق والألوان ، واخترعنا فنون الخداع ، وتخفينا وراء الستائر السمكية .

حين عرفنا أن النبع قد فسد ، لم نسع إلى التطهير .

وحين علمنا أن الفكر قد اتسخ ، لم نسع إلى الإغتسال .

إذا تولدت العلاقات الطيبة في قلبك
اليوم ، أينعت ثمارها غداً .

١٣ - فن الرؤية

كانت مجموعة من السيّاح في زيارة لأحد المعارض الفخمة في انجلترا ، حيث عُرضت أمامهم رسومات كثيرة الثمن ، وأثاث منقوشة بعناية ، وقطع ذهبية وفضية متألئة .

وبعد ذلك ، وفيما هم يتكلمون عن الإبداع في هذه الكنوز الجميلة التي رأوها ، علق واحد منهم قائلاً : [ولكن هل رأيتم الغبار ؟ لقد كان شيئاً مخزياً !] (٦٢)

إن هذا النوع من الرؤية ، أن ترى الغبار وليس الجمال ، ليس هو رؤية ناقصة فحسب ، بل وأيضاً هو أمر يدعو إلى الشفقة .

يعانى كثير من الناس من الرؤية الناقصة ، ويكون الأمر محزناً حينما تكون الرؤية مادية ، ويصير أشد حزناً حينما تكون الرؤية الروحية مريضة .

بعض الناس يعانون من قصر نظر روحى ، فهم يرون مجرد الحاضر ، وليس لديهم أى رجاء أو رؤية للمستقبل .

وبعض الناس عندهم طول نظر ، فيعجزون عن استيعاب

❦ فقدان الرؤية :

أميرة روسية ذهبت في إحدى ليالي الشتاء البارد في عربتها التي يجرها حصان ، ويقودها سائق إلى مسرح (سان بطرسبرج) لمشاهدة مسرحية ، وكانت أحداث المسرحية تدور حول فتاة ألمانية صغيرة تاهت في الغابة وتجمدت حتى الموت ، فانطلقت من الأميرة تنهدات رهيبة مصحوبة بالحزن والدموع من فرط تأثرها بالمأساة ،

بينما في نفس هذه اللحظة ، كان سائق عربة هذه الأميرة جالساً في العربة خارجاً بملابس بالية قديمة ، وهو يتعرض للبرد الشديد الذي تسبب له في التهاب رئوى ، حتى كاد هذا المرض على وشك أن يفضى به إلى الموت .

كم كانت رؤية هذه الأميرة الروسية ناقصة تماماً .
يوجد كثيرون وهم يعبرون في هذه الحياة ، يرون البستان ، ولا يرون البستاني ، أو يرون الجمال ويفوتهم أن يروا مُبدع الجمال ، يرون الخليقة ، ولا يرون الخالق .

توجد لدى اليونانيين كلمة عن هذا النوع من العمى ، وهي كلمة (سكوتوسيس Scotosis) ، وهي مشتقة من كلمة (سكوتوس Scotos) ، والتي تعني الظلمة .

ينشغل بعض الناس تماماً بالنظر إلى الماضي في غضب ، ويتطلعون إلى المستقبل في خوف ، حتى يصيروا غير واعين تماماً بما يدور أمام أعينهم في تلك اللحظات . إنه فقدان الرؤية !
عمى ! ظلام !

❦ رؤية الاحتياجات :

صديقان كانا جالسين معاً في أتوبيس مزدحم ، فلاحظ أحدهما أن الآخر أغمض عينيه ، فسأله : [ما الأمر يا (بيل) ؟ هل تشعر

السيدات الواقفات متعبات من حولي] .
إن الله الذى أعطانا العيون ، هو نفسه الله الذى أهدانا الجفون ،
وعندما تُستخدم بلياقة ، فسوف تكون مفتوحة لملاحظة المتعبين
من حولنا ، وملاحظة الكثيرين الواقفين فى احتياج لمساعدتنا لهم ،
ونحن نغض الطرف عنهم بأن نغلق عيوننا .
لو كانت عيوننا تتحكم فيها محبة المسيح ، فبالضرورة
ستستجيب لاحتياجات الآخرين .

ولكن فى أحيان أخرى يجب أن تغمض الجفون ، وهذا لطرد
الشر ، أو بالأحرى القاذورات والنفائات التى تُعرض أمامنا ، مثل
الأفلام الهابطة والمجلات الإباحية ، وكثير من البرامج التليفزيونية
التي تغذيها بالأكاذيب عن معنى الحياة والشهوة ، وتجعلنا فى
تعارض مباشر لحق الله ووصاياه المستعلنة فى إنجيله .
الله أهدانا الجفون لهدف ما فى غاية السمو ، ألا وهو رفض
الشر وقبول الخير .

كم من أشياء يجب علينا أن نقوم بها فى العالم اليوم ، ولكن
يجب علينا قبل أن نقوم بها ، أن تكون لدينا نظرة سليمة لرؤية
احتياجات الآخرين .

احتياجاتهم إلى التغذية الروحية ، وإلى إطعام الجسد ، وإلى
الرجاء فى الحياة ، وإلى الخدمة ، وإلى الحب ، وإلى الثناء ،
الحاجة إلى رؤية لعازر البلبايا يموت جوعاً بجوار بيتنا .
إن الحاجات والاحتياجات كثيرة وموجودة ، لكن معظمنا
عميان عن رؤيتها .

نحتاج إلى شفاء وانجلاء عيوننا ، نحتاج أن يطهرها يسوع
ويشفيها من مرضها المُرعب (الظلمة) . نحتاج أن نتحرر من
الوهم والضلال والتحيز والأنانية وسوء الظن ، وكل تشويه للحقيقة
يعمى عيوننا . (٦٣)

ومن أجل ذلك لدينا الطبيب السماوى ، وأعظم طبيب للعيون ،
الذى جاء حتى " يُبصر الذين لا يبصرون " (يو ٩ : ٣٩) .

قال (توماس دربير) عن كثير من الناس أنهم : [يجولون
الدنيا وهم غير واعين أو غير مبصرين للجمال أو الخير أو
الأمجاد التى فيها . نفوسهم فقيرة ، وأعينهم عمياء] .

لل تواصل النظر :

من السهل قلة الحوافر والمشاعر بنظرات العينين ، فخذوا

عندما ارسل الرب بولس الرسول ليكرز للأمم قال له :
" لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور " (أع ٢٦ :
١٨) .

الله قادر أن يلمس عيوننا العمياء اليوم كي يمنحنا البصر
الروحاني . (٦٤)

إنه يفتح عيوننا للرؤية ، فنحن لم نعد متروكين نتلمس خُطانا
في ظلمة خطايانا ، بل يمكننا أن نرى الجمال المانح الحرية لمحبة
الله المستمرة لنا .

يمكننا أن نرى مجد الله في خليقته . يمكننا أن نرى اخوتنا
البشر كأولاد الله ، كإخوة مات المسيح لأجلهم .
والأهم من ذلك كله إنه يفتح عيوننا كي نرى أعمال الله كرب
حي لحياتنا ، كالنور الحقيقي الذي به نرى ونفسر كل شيء في
الحياة .

البصر موهبة ، والرؤية

١٤ - فن الحياة

فى أثناء حرب الاستقلال الأمريكى ، كانت مجموعة جنود يسحبون كتلة كبيرة من الخشب بصعوبة شديدة . وعلى مسافة قريبة منهم وقف زميل قديم لهم برتبة (عريف) يلقي عليهم الأوامر ، وينتهرهم ويوبخهم كلما تعثرت أقدامهم . وفى تلك اللحظة مر أحد الفرسان فوق حصانه ، ولاحظ معاناة الجنود وحاجتهم للمساعدة ، فسأل العريف : [لماذا تكتفى بإعطاء الأوامر ولا تمد يدك لمساعدة زملائك ؟] . فأجاب العريف بغلظة قائلاً : [لأننى لست جندياً عادياً بل عريفاً محترماً] .

وهنا نزل الفارس من فوق حصانه ، وأخذ موقعه بين الجنود ، وكان يدفع الكتلة بكل طاقته ويشجع الجنود حتى أتم العمل . وقبل أن يمتطى حصانه ، نظر إلى العريف ، وقال له : [أرجوك .. كلما كانت لديك كتلة من الخشب تريد دفعها .. أرجو أن تستدعيني للمساعدة فى العمل .. وسوف تجدى بسهولة] . وكان هذا الفارس الذى ساعد الجنود هو القائد العام للقوات المسلحة الأمريكية (جورج واشنطن) . ولقد استحق هذا الرجل أن يصبح أول رئيس لأمريكا بعد الاستقلال .

إنه إنسان أجاد (فن الحياة) فنجح وتميز .

صديقى

إن الفنون كثيرة ، فهناك فن الموسيقى أرقى الفنون رقة وعذوبة وله عمالقة أبدعوا فيه ، ووهبوا البشرية أروع إبداعاتهم ، وهو فن له صلة كبيرة بالروح والأعصاب والعاطفة ؟ ، يرفع النفس ويطيير بها إلى أعلى القمم . وهناك فن التصوير ومعه النحت ، يُلبس الألوان والأحجار

مناظر أشخاصاً تكاد تنطق من شدة الإتيقان ، تُعبّر عن كل الطبيعة وكل الشخصيات ، وتسمو بها إلى شبه الحقائق ، وأنواع أخرى من الفنون عبّرت عن مواهب الإنسان المتعددة ، ولكن ألهمت الإنسان عن حقيقة (فن الحياة) الأسمى والأعلى .
إن كل واحد منا دائماً يسعى إلى أسلوب أفضل في الحياة . إن التطلع لحياة أفضل يعنى التغيير ، بهدف التطور إلى الأحسن في كثير من جوانب الحياة .

ولكن ..

كيف تسعى بأسلوب ناجح إلى أفضل الوسائل للتعامل مع الآخرين ؟

وكيف تجعل لحياتك طعماً ، وتستمتع بمذاقها ؟
ثم كيف تسعى لأن يكون لوجودك قيمة في الحياة ؟
وأخيراً ما هو الطريق نحو حياة أفضل ؟

الواقع أن السلوك الحسن هو معيار نجاح الإنسان مع الآخرين .

أى أن الإنسان الناجح هو ذلك الإنسان الذى يحبه الآخرون ، ويشعرون أنه قريب إليهم بحبه لهم ، ومساعدته إلى خدمتهم .

ولكن هذا النجاح لا يتأتى مصادفة أو فجأة ، بل لابد أن يصنعه الإنسان بنفسه ويسعى إلى تحقيقه .

قال فيلسوف : [النجاح ابتسام وبشاشة ، والفشل تقطيب وكآبة . والوجه المبتسم البشوش جواز مرور إلى أرض النجاح ، والوجه المقطب الكئيب طريق مظلم إلى أرض القلق والهموم] .

إن الفشل في الحياة اختبار لا بد منه ، تلقاه في بعض نواحيها ، سواء كانت مادية أو روحية ، ومن الناس من يتخذ من الفشل حافزاً لسعى جديد ، ومنهم من يتمرد عليه فيصيبه الحيرة والارتباك ، ومنهم من يستكين إليه ، فيحيا في يأس مستحکم وظلام دامس .

ومتى جعل الإنسان هدفه في الوجود أن يسعى لحياة أفضل ، فإنه لا يكون بلا رجاء ، وهو في هذا السعى لا يميل إلى المهادنة مع شئ دون الكمال ، حتى يبلغ في هذا الصراع مرحلة من السعادة لا يدينها أى نجاح في الحياة .

هذا هو فن الحياة الأخلاقية الروحية ، وما أجمل أن يتفهم شباب هذا العصر ..

فن الحياة

ليكن لديك الأمل
 أن تزدهر الأيام بالغد
 البسام
 وأن تتحقق الأحلام
 رغم قسوة الأيام .
 أخيراً أو أن تتقدم للأمام رغم
 [ستعرف أنك قرأت كتاباً جيداً، عندما تقلب الصفحة
 الأخيرة ، وتعلم أنك فقدت صديقاً] (أحد الفلاسفة) .

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	م	رقم الصفحة	الموضوع	م
٤٣	الأهم ثم المهم	٨	٥	نقاء الحياة	١
٤٧	قصيدة الله	٩ (٦٨)	١٢	الحياة المثالية	٢
٥٠	فن التفكير	١٠	١٩	تغيير الحياة	٣
٥٥	فيما تفكر ؟	١١	٢٦	دعوة للحياة	٤
٦٦	هل العلاقات فن ؟	١٢	٣١	ألوان الحياة	٥
٧٠	فن الرؤية	١٣	٣٦	كيف تدعى الحياة ؟	٦

صدر عن هذه السلسلة

- | | |
|-----------------------------|---------------------|
| ١ - صرخة خادِم | ٢٤ - اعظم حب |
| ٢ - دموع الحبيب | ٢٥ - الأيام تتكلم |
| ٣ - صياد الناس | ٢٦ - الرقيق والطريق |
| ٤ - أين الحب ؟ | ٢٧ - من هو صديقي |
| ٥ - عش الحبيب | ؟ |
| ٦ - رحلة التحدي | ٢٨ - وأنا أريحك |
| ٧ - صناع الحياة | ٢٩ - لمن أنت ؟ |
| ٨ - ليك أنت (الجزء الأول) | ٣٠ - كيف الأعوك ؟ |
| ٩ - ليك أنت (الجزء الثاني) | ٣١ - تليفون السماء |
| ١٠ - ليك أنت (الجزء الثالث) | ؟ |
| ١١ - اثبواك الورد | ٣٢ - أنشودة الحياة |
| ١٢ - الام الزمان | ٣٣ - ماذا زرعت |
| ١٣ - طريق الأرض | ؟ |
| ١٤ - ما هي حياتك ؟ | ٣٤ - ما هي رسالتك |
| ١٥ - أيام العمر | ؟ |
| ١٦ - وأنا حملتكم | ٣٥ - البغى أنت |
| ١٧ - على أجنحة النسور | ٣٦ - صوت صياح |
| ؟ | ٣٧ - نئاب وحملان |
| ؟ | ٣٨ - التفست لسي |
| ؟ | ٣٩ - من أجلك |